

الرياض والنصرة  
في  
السيرة العطرة  
(الطور المكّي)

أ.ك. / أحمد عبد القادر الشافعي

٢٠٠ - ٢٠٠٦ هـ

71

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ،  
وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا  
نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ،  
والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله ،  
أفصح العرب لسانا ، وأبلغهم بيانا ، وعلى آله وأصحابه  
وأتباعه إلى يوم الدين.

### أما بعد

فهذه رسالة حب في خير البرية ، أخطأ احتسابا  
لله ، وطلبنا في مثوبته ورحمته وغفرانه تدور حول الفترة  
المكية التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي فترة  
قاسية على نبي الإسلام ، وعلى أمة الإسلام الوليدة  
تحمل فيها مؤسس دولة الإسلام صنوف العذاب ، ولم يتخل  
عن دعوته ، وسار بها حتى ذاعت وانتشرت ، ولم يصبح  
في جزيرة العرب شخص إلا وأمن بدعوته في حياته .

والهدف من تسطير هذه الفترة هو إعادة قراءتها  
بإمعان ، وتذكير المسلمين بها ، ووضعها نصب أعينهم  
لشحن همهم ، والتخلص من اليأس الذي أصاب أبناء الأمة  
- أمة الإسلام - التي هي خير أمة أخرجت للناس ، ولاخير  
في أمة ترى الخير في غيرها .

في هذا الزمان تكالبت على المسلمين الأمم، وتطاول عليها أهل الملل والنحل، وخرجت أقوام من بين طيات التاريخ، لتهاجم أمة الإسلام، وتتهم المسلمين بتهم، هم منها براء، فالمسلمون اليوم في حالة ضعف ووهن وانقسام وتشرذم بسبب بعدهم عن دينهم، ولا حل لهم إلا بالعودة إلى دينهم، والتأسي برسولهم الكريم، فالمسلمون اليوم ليسوا في حال أسوأ مما كان عليه رسولهم الكريم في بداية دعوته، فقد ناله من التكذيب والاستهزاء والتوهين والاضطهاد ما لم ينله أحد من العالمين، ومع ذلك صبر وتحمل واستمر في دعوته ولم يتنازل قط ولم يتوان، وحمل دعوته مع قلة من المهاجرين إلى المدينة المنورة حتى أظهر الله دينه.

لقد شرفني الله بأن أقيم في مكة المكرمة أستاذًا بجامعة العريقة - جامعة أم القرى - وكلما سرت في شوارع مكة المكرمة أتذكر الحبيب المصطفى وصحابته الأخيار، وعندما أمر بجوار جبل النور، حيث كان يتعبد المصطفى صلى الله عليه وسلم في غار حراء أقول لعل قدمي تطأ موضعاً وطأه قدم المصطفى، وعندما أرى جبل ثور، وفيه الغار الذي اختبأ فيه مع الصديق حين هاجر، يثير في نفسي شجوناً، وفي طريقي إلى الجامعة - طريق الهدا - وبالقرب من عرفات - وأرى الأخشبين، أتذكر رحلة المصطفى عليه السلام إلى الطائف.

وعندما أطوف في الحرم المكي الشريف، وأسعى بين الصفا والمروة أتيقن أنني أسير حيث سار النبي الكريم وصحابته الأخيار.



من هنا كان لابد لي أن أتذكر ، و أذكر الأمة فأخرج نفسي  
ومن أراد من حالة اليأس التي تتقابنا هذه الأيام بسبب  
الهيمنة الصهيونية ، وانعدام العدالة وسيادة شريعة الغاب ،  
أذكر نفسي و أذكر الأمة الإسلامية بأن الله قد وعد المؤمنين  
و وعده حق بأن النصر لهم ، فقد نصر عبده وأعز جنده  
وهزم الأحزاب وحده ، و وعدنا أن ينصرنا وإن تنصروا الله  
ينصركم ويثبت أقدامكم .

وفي هذه الرياض النبوية أحاول أن أطوف في بساطينها  
وبين أشجارها وأقتطف منها ما تشتهي نفوسنا من  
قطوف دانية ، فأبدأ وبالله العون في الروضة الأولى بحالة  
المجتمع العربي في الجاهلية ثم أتحدث عن الأسرة  
النبوية بفروعها وجذوعها وأغصانها.

وفي الروضة الثانية أتجول معكم بين مكة ومضارب  
بنى سعد وفي بيت عبد المطلب وأبى طالب مع قصة المولد  
والنشأة .

وفي الروضة الثالثة نذهب معكم إلى منزل الزوجية  
عند أم المؤمنين خديجة ومنزل الوحي في غار حراء لنبدأ  
قصة الدعوة في مراحلها الأولى مع إطلالة على دعوات  
التوحيد قبيل الدعوة المحمدية .

وفي الروضة الرابعة نشاهد مشاهد الدعوة ، وقد  
خرجت من السر إلى العلن لنرى موقف قريش منها ، أول  
إظهار للدعوة - دعوة الأقربين - وقد قريش إلى أبى طالب  
- اضهاد الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الروضة الخامسة نسافر مع الإسلام إلى خارج  
مكة المكرمة لنرى ماذا حدث لهذه الدعوة في الحبشة  
والطائف ويثرب وبين قبائل العرب.

وفي الروضة السادسة نستعد للهجرة مع المصطفى  
صلى الله عليه وسلم وصحبه من مكة المكرمة إلى يثرب.

وفي الروضة السابعة نعود لفتح مكة بعد سنوات  
الهجرة ونصلي في الكعبة المشرفة ، ونشهد تطهير النبي  
صلى الله عليه وسلم للمسجد الحرام من الأصنام وخطبته  
وأخذ البيعة وعودته إلى المدينة ثم حجة الوداع .

وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنِي إِلَى إِتِمَامِ هَذَا الْأَمْرِ حَسْبَ اللَّهِ  
وَحُبًّا فِي رَسُولِهِ الْكَرِيمِ صَلَاةَ اللَّهِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
وَأَصْحَابِهِ وَاتِّبَاعَهُ الْمَخْلِصِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

أ.د. أحمد عبد القادر الشاذلي

مكة المكرمة - المحرم ١٤٢٥ هـ.

## الروضة الأولى

### مكة قبل النبوة :-

لم تكن مكة قبل قدوم إبراهيم عليه السلام سوى بقعة من أرض الحجاز بواد غير ذي زرع لا يسكنه أحد ، وليس فيه ماء ، كانت مجرد رابية تأتيها السيول فتأخذها من اليمين والشمال بين مجموعة من التلال والجبال .

كانت مكة في ذلك الحين ليس بها سوى قواعد بيت الله الحرام التي وضعتها الملائكة على الأرض منذ أزمان طويلة .

جاءها نبي الله إبراهيم الخليل حاملاً زوجته هاجر وابنها إسماعيل ( مروج الذهب ٤٥/١ ) وتركهما مع قليل من الزاد والماء حتى نفذا ، وبفضل الله تفجرت بئر زمزم تحت أقدام الوليد إسماعيل .

وجاءت قبائل جرهم والعماليق ونزلت بمكة بعد الإنز  
لها من أم إسماعيل ، وعاش إسماعيل وأمه بينهم وفي ظل  
حمايتهم ، وتزوج من جرهم ، وأنجب اثني عشر ولدا  
ذكرهم : نابت وقيدار وادبانيل ومشماع ومبشام ودوما  
وميشا وحدد ویتما ويطور ونفيس وقیدمان ( المسعودی ١ / ٦٢ )  
وكانت منهم قبائل سكنت بعضها مكة وتفرقت الأخرى

ويأتي ذكر مكة في القرآن الكريم في قول إبراهيم عليه  
السلام : (ربنا أنى أسكنت من ذريتني بواد غير ذي زرع عند  
بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس  
تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون )  
( إبراهيم - ٣٧ )

وكان العرب في الجاهلية بكافة قبائلهم يحجون إلى  
البيت الحرام ، حتى الفرس أنفسهم كانوا يفعلون كما يفعل  
العرب يقول شاعر قديم :

زمزمت الفرس على زمزم ٠٠٠ وذاك من سالفها الأقدم  
( المسعودی ١ / ٢٤٢ )

### إبراهيم عليه السلام في مكة

زار إبراهيم عليه السلام مكة المكرمة عدة مرات  
أولها حين حمل ابنه وزوجته إلى هذا المكان ، وثانيها  
حين رأى الرؤيا بذبح ابنه إسماعيل حين شب فقام بالسفر

إلى مكة للامتثال لأمر الله ( فلما أسلما وتلاه للجبين  
وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي  
المحسنين إن هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم )  
(الصافات ١٠٣ - ١٠٧) .

وثالثها حين تزوج إسماعيل من جرهم ، وزاره  
إبراهيم عليه السلام ، ولم يجد إسماعيل بالبيت ، فسأل  
زوجته عن أحوالهما ، فشكت له ، فأوصاها أن تبلغ  
إسماعيل حين عودته بأن يغير عتبته ، وطلق إسماعيل  
زوجته بناء على رغبة أبيه ، وتزوج من ابنة مضاض بن  
عمرو الجرهمي ، وزاره إبراهيم في المرة الرابعة ، وسأل  
زوجته عن أحوالهما ، فأثنت على الله ، فأوصى إبراهيم ابنه  
بتثبيت عتبته .

وأهم زيارات إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة هي  
المرة التي قام فيها برفع القواعد من البيت الحرام ، وامتلأ  
لقوله تعالى ٠٠٠٠ ( وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا  
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ) .

وكان لإسماعيل الرياسة في مكة حتى مات ودفن  
بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الأسود  
عن مائة وسبع وثلاثين سنة ( مروج الذهب ٦٢/١ )

## مكة بعد إسماعيل

سكناء إسماعيل عليه السلام مكة ، وعملوا بالتجارة ،  
وتفرقت القبائل من أولاد إسماعيل في أرجاء الجزيرة  
العربية ، وظل أولاد قيدار بن إسماعيل في مكة حتى كان  
منهم عدنان وولده معد ، و عدنان هو الجد الحادي  
والعشرون للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان لنزار ولد معد أربعة أبناء هم : أياد و أنمار  
وربيعة ومضر ، ومن مضر بن نزار جاءت قبائل قيس  
عيلان وإلياس ، وجاء من إلياس بن مضر بطون كنانة بن  
خزيمة ، ومن كنانة كانت قريش ، وانقسمت قريش إلى  
قبائل عدة أهمها : جمح وسهم وعدى ومخزوم وتيم وزهرة  
وبطون قصي بن كلاب وهم : عبد الدار بن قصي وأسد بن  
عبد العزى وعبد مناف بن قصي ، وجاء من عبد مناف  
عبد شمس ونوفل والمطلب وهاشم ، وجاء من هاشم  
عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم .

لم يبق في مكة من بطون وقبائل أولاد إسماعيل  
عليه السلام سوى بطون كنانة بن خزيمة من أولاد إلياس بن  
مضر ، وتفردت بطون قريش بمكة وما حولها ، وكانوا  
يتفرقون فيما بين جبال ووديان مكة حتى قام قصي بن كلاب  
بتوحيدهم.

لم تكن السيادة على مكة بعد إسماعيل عليه السلام دوما  
لأولاد إسماعيل ، بل تبادلوا السيادة مع جرهم حتى استطاع

العدنانيون محاربة جرهم وإجلالهم عن مكة ، وقام  
الجراهمة بردم بنر زمزم وطمس معالمه ، ودفن الحجر  
الأسود وغزالين من الذهب في الردم ، وكان الغزالين قد  
أهديتا من ساسان بن بابك إلى الكعبة في عهد عمرو بن  
الحارث بن مضاض الجرهمي .

وقال عمرو الجرهمي شعرا حين ترك مكة تعبر عن حزنه  
قال:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا  
أنيس ولم يسمر بمكة سامر .

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا  
... صروف الليالي والجدود العواثر

بقيت مكة تحت سيادة أولاد إسماعيل عليه السلام  
وقبائل جرهم ألفى عام حتى رحل الجراهمة عنها فتولى  
أمرها خزاعة ثلاثمائة سنة كان لقبائل مضر بعض المهام  
منها:

١- الدفع بالناس من عرفة إلى المزدلفة وإجازة النفر  
من منى ، وكان يتولاها بنو الغوث من مضر ، وكانوا  
يسمون صوفه ، ولا يسمح للناس بالمرور إلا بعدهم  
وخلفهم بنو سعد من تميم .

٢- الإفاضة غداة النحر إلى منى كان لبنى عدوان .

٣- انساء الأشهر الحرم ، وكان ذلك لبنى تميم بن عدى  
من بنى كنانة .

## قصي بن كلاب في مكة

وحين جمع قصي بن كلاب بطون قريش ، لم يكن لهم من السيادة شيء ، فصارت السيادة كلها لهم ، وكان قصي قد تزوج من ابنة حليل بن حبشه من خزاعة ولما مات حليل ، تغلب قصي على مكة والبيت الحرام ، وجمع قريشا حوله ، وصارت لهم الكلمة على مكة في منتصف القرن الخامس الميلادي .

قسم قصي مكة بين قومه ، وانزل كل قوم منازلهم التي صارت لهم ، واقر لبني عدوان ومرة بن عوف وآل صفوان ، ما كان لهم من مناصب .

أسس قصي دار الندوة في جانب من الكعبة ، وفيها كان تجمع قريش للفصل في الأمور ، وحل المشاكل ، وكان لقصي الرياسة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة ، فكان له رئاسة دار الندوة ، ولا تعقد راية الحرب إلا بأذنه ، ولا يفتح باب الكعبة أحد إلا هو ، وله سقاية الحجيج وضيافتهم .

وتولى أمر مكة بعد قصي عبد مناف ، واختلف القرشيون بعد عبد مناف ، فاقسم السيادة أولاد عبد الدار مع أولاد عبد مناف ، فصارت دار الندوة واللواء والحجابة لبني عبد الدار ، والسقاية والرفادة لبني عبد مناف ، وتولى هاشم بن عبد مناف أمر السقاية والرفادة طوال حياته وخلفه أخوه المطلب بن عبد مناف ، وتولى الأمر عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله



عليه وسلم حتى جاء الإسلام، وكانت الولاية للعباس بن عبد المطلب.

كانت مكة يحكمها القرشيون ، ويتقاسمون السيادة ويتولون المناصب، ويوزعونها فيما بينهم وكانت هذه المناصب تكليف يشعرون بالشرف لما يكلفون به من أداء للخدمة ومن هذه المناصب:

- ١- الإيسار : وهي مهمة من يتولون قداح الأصنام للاستقسام وكانت لبني جمح.
- ٢- الشورى : كانت لبني أسد
- ٣- الأشناق : وهي مهمة جمع الديات والغرامات وكانت لبني تميم.
- ٤- القبة : أي نظم المعسكر وقيادة الخيل لبني مخزوم.
- ٥- العقاب : أي حمل اللواء وكانت لبني أمية.
- ٦- الأموال المحجرة : وهي الأموال التي تهدى وتنذر للأصنام ولفصل الخصومات وكانت لبني سهم .
- ٧- السفارة : وكانت لبني عدى.

كان المجتمع المكي قبيل مجيء الإسلام يمثل أفضل المجتمعات في الجزيرة العربية من الناحية السياسية ، حيث كان العرب ينظرون إلى حكومة مكة نظرة احترام وتقدير لأسباب عدة أهمها :

١- المكانة الاقتصادية ، حيث كانت مكة سوقا تجارية تأتي إليها القوافل من الشام ومصر واليمن ويعقد على مقربة منها سوق عكاظ.

٢- المكانة الثقافية ، حيث كانت تعقد المبارزات الشعرية وتعلق أحسن القصائد على أستار الكعبة .

٣- المكانة الدينية التي تحتلها الكعبة المشرفة في نفوسهم .

٤- المكانة السياسية ، حيث تجمعت الزعامة الدينية والاقتصادية والثقافية في مكة فكان لزاما أن تكون لها المكانة السياسية أيضا .

## الدين في مكة

كان أهل مكة على دين إبراهيم عليه السلام ، وهو دين التوحيد ، وظلوا على ذلك قرونا حتى حمل لهم عمرو بن لحي رئيس خزاعة صنما ، جلبه معه من الشام حين سافر إليها ، وفي ظنه أن أهل الشام نزلت فيهم الكتب والرسول ، ووضع الصنم وهو صنم هبل في جوف الكعبة ، وتبعه أهل مكة والحجاز ، وكثرت الأصنام والأوثان فكان هناك مناة في القديد على بحر القلزم ، والآلات في الطائف والعزى في وادي نخلة.

ويذكر أن ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا من أصنام قوم نوح ، وقد أحضرها عمرو بن لحي ودفعها للقبائل فحملتها معها إلى موطنها حتى صار لكل قبيلة صنم .

ووضعت الأصنام في جوف الكعبة وحولها ، حتى كان هناك ثلاثمائة وستون صنما حين حطمها النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح . ( مختصر محمد بن عبد الوهاب - ٥٤ ) .

ومن مظاهر عبادتهم للأوثان والأصنام أنهم كانوا يعكفون عليها ، ويستغيثونها في الشدائد ، ويطلبون شفاعتها عند الله ، وكانوا يتذللون عندها ، ويسجدون لها ويقدمون القرابين ، وينحرون لها ، وبأسمانها ، قال تعالى : ( ٠٠٠٠ وما ذبح على النصب ٠٠٠ ) ( المائدة - ٣ ) وقال تعالى : ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) ( الأنعام - ١٢١ ) .

وكانوا يخصصون شيئا للأصنام من مأكليهم ومشربهم ومن حرثهم وأنعامهم ويظنون أنهم يخصصون جزءا لله قال تعالى ( وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاننا فما كان لشركانهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ) ( الأنعام - ١٣٦ ) وقال تعالى ( وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ) ( الأنعام - ١٣٨ ) .

ومن الأنعام التي يتقربون بها إلى الأصنام ؛ البحيرة  
والسائبة والوصيلة والحامي ؛ أما البحيرة بنت السائبة  
وهي الناقة التي تلد عشر إناث ليس بينهم ذكر فهي سائبة  
لا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف  
وإذا نتجت أنثى شقت أذننها وتركت لا تركب ولا يشرب  
لبنها إلا ضيف وهي بحيرة ؛ أما الوصيلة فهي الشاة إذا  
أنتجت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهم ذكر  
فهي وصيلة ، والحامي هو الفحل إذا نتج له عشر إناث  
متتابعات ليس بينهم ذكر حمى ظهره فلا يركب ولا يجز  
وبره ويخلى سبيله قال تعالى : ( ما جعل الله من بحيرة ولا  
سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على  
الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ) المائدة ١٠٣ .

وشاعت بينهم الاستقسام بالأزلام والتي كانت لبنى  
جمع والزلم هو القدح وهم يستقسمون بالأزلام في السفر  
والنكاح والعمل وكل حياتهم ، وكان بينهم الميسر  
والاعتقاد في أخبار الكهنة والعرافين ، ويعتقدون في  
الطيرة والتطير وهو التشاؤم بالشيء حيث كانوا يأتون  
بطير ويطيرونه فإذا اتجه يميناً تيمنوا وإذا اتجه شمالاً  
تشاءموا .

ومع كل هذا كانت قريش تعظم بيت الله الحرام ويقولون  
: نحن بنوا إبراهيم وأهل الحرم وولاية البيت وقاطنو مكة  
وليس لأحد من العرب مثل حقنا ومنزلتنا ، وكانوا يسمون  
أنفسهم الحمس فلا يقفون بعرفة ولا يفيضون منها وإنما  
كانوا يفيضون من المزدلفة ونزل قوله تعالى ( ثم أفيضوا  
من حيث أفاض الناس ) .

وكان الحمس قد أمروا أهل الحل ألا يطوفوا بالبیت الحرام إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس ، فإن لم يجدوا طاف الرجال عراة والنساء تضع ثيابها كلها إلا درعا مفرجا ثم تطوف فيه ، وكان إذا طاف رجل أو امرأة في ثياب يلقونها بعد الطواف ، ولا ينتفع بها أحد ، وكانوا لا يأتون بيوتهم من أبوابها حال إحرامهم بل ينقبون ظهور بيوتهم ويدخلون ويخرجون من نقب ويظنون ذلك برا ( ابن هشام ٢٠٢/١ - صحيح البخارى ٢٢٦/١ ) .

أما الديانات الأخرى الموجودة بجزيرة العرب فكان اليهود في يثرب من يهود خيبر وبنى النضير وبنى قينقاع وبنى المصطلق وبنى قريظة ، ويقال إن عدد قبائل اليهود في جزيرة العرب قبل الإسلام كانت أكثر من عشرين (قلب جزيرة العرب ١٥١) .

وكانت النصرانية على أطراف الجزيرة العربية بين الغساسنة وقبائل طيء وتغلب فيما جاور الرومان ، أما الزر ادشنية ( المجوسية ) فكانت في البحرين وهجر ، وكان الصابئة في العراق .

عرف أهل مكة هذه الديانات لكنها لم تكن متوطنة بين أهلها بل ظلت تقوم معتقداتهم على عادات وتقاليد وثنية أدخلت على ديانة أبيهم إبراهيم عليه السلام ، ولذلك عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام لم يجد صعوبة في نشر الدين بل وجد صعوبة من صناديد قريش الذين أرادوها سيادة لهم ، واتباعا لعادات وتقاليد آبائهم قال تعالى ( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع

ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آبؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون).

وقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب كلها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يواجه ديانة سماوية أو أرضية ذات كتاب مقدس إلا مع يهود يثرب .

## الأسرة النبوية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم (الترمذي ٢ / ٢٠١) .  
وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم ، وخير الفريقين ، ثم تخير القبائل ، فجعلني من خير القبيلة ثم تخير البيوت ، فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا (الترمذي ٢ / ٢٠١) .

يذكر النسابة نسب النبي صلى الله عليه وسلم حتى آدم عليه السلام ، وإن كان هناك اختلافات في نسبه بعد عدنان ، إلا أن نسبه إلى إسماعيل عليه السلام لا شك فيه . (ابن هشام ١ / ٢٠١ - رحمة للعالمين ٢ / ١١ - ١٤) .

ونسبه إلى عدنان هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر (قريش) بن مانك بن النضر (قيس) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (تلقح فهوم أهل الأثر ٥ / ٦) .

وقصي الجد الأكبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذي جمع بطون قريش في مكة ، وقسمها فيما بينهم ، وقد أنجب ثلاثة أبناء هم : عبد الدار وأسد وعبد مناف ، وكان له السيادة ، فلما مات ، تولى أمر مكة عبد مناف وكان له أربعة أبناء ، هم عبد شمس ونوفل والمطلب وهاشم .

## هاشم بن عبد مناف

تولى هاشم السقاية والرفادة من بنى عبد مناف بعد التصالح مع بنى عبد الدار على اقتسام المناصب ، وينسب إلى هاشم أنه أول من أترد للحجيج أى قدم لهم الثريد ، ولقب هاشما ، وكان اسمه عمرو لأنه هشم الخبز ، وهو أول من سن الرحلتين لقريش ، رحلة الشتاء والصيف يقول الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ..... قوم بمكة مسنتين عجاف  
سنت إليه الرحلتان كلاهما ..... سفر الشتاء ورحلة الأصيف

كانت قريش كثيرة التجارة إلا أنهم كانوا لا يخرجون من مكة والحجاز ، وكانت الأعاجم تأتيهم بالبضائع فيشترون منهم ويبيعونهم ، فأقاموا على ذلك زمنا طويلا ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف ، فخرج إلى الشام ، ونزل بقيصر ملك الروم واسم هاشم يومئذ عمرو العلى ، فكان يذبح كل يوم شاة ، ويصنع جفنة ثريد ، ويجعل اللحم عليها أوصالا ، ويدعو من حوله فيأكلون معه ، وكان هاشم من أحسن الناس وجها ، وأكرمهم أخلاقا ، فقبل بقيصر : هنا رجل من قريش يهشم الخبز ، ويصب عليه المرق ، ويجعل عليه اللحم ، فسموه هاشما (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ٣ / ٥٥٥) .

طلب هاشم من القيصر كتاب أمان للعرب جميعا ، يؤمنهم على أنفسهم وأموالهم ، وكان هاشم كلما جاء حى من أحياء العرب على طريق الشام ، أخذ منهم إيلافا ، والإيلاف أن يأمنوا عندهم فى أرضهم وعلى أنفسهم وأموالهم ، وأخذ هاشم الإيلاف من جميع القبائل من الشام حتى مكة ، وجاء لأهل مكة بما لم يأت به أحد من قبل ، وخرج مرة أخرى بتجارة إلى الشام ، ومر بغزة ، فمات فيها ، فقبل عنها غزة هاشم .

وقد فعل أخوه المطلب مثلما فعل هاشم من مكة إلى اليمن ، وفعل عبد شمس نفس الأمر مع ملك الحبشة ، وكذلك فعل نوفل مع كسرى فى العراق ، فقالوا جميعا الإيلاف لمكة والعرب وقال تعالى : (إيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ) .



قال ابن الزبيرى الشاعر :

يا أيها الرجل المحول رحله ..... هلا مررت بآل عبد مناف  
هبلتك أمك لو مررت بدارهم ..... لحموك من جوع ومن إقراف  
المطعمون إذا الرياح تناوحت ..... والظاعنون لرحلة الإيلاف  
والآخذون العهد من أكفافها ..... والناهشون لمقدم الأضياف  
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ..... ورجال مكة مستنون عجاف

كان هاشم قد تزوج من سلمى بنت عمر من بنى عدى من بنى النجار فى يثرب وتركها عند أهلها فى رحلته الأخيرة إلى الشام ، فحملت ووضعت ابنها عبد المطلب ، وسمته شيبه لشيب كان فى رأسه ( ابن هشام ٢/١ - ٤ ) . وتربى عبد المطلب فى بيت أخواله عدة سنوات ، حتى علم المطلب عمه ، فسار إليه وحمله معه الى مكة .

وكان لهاشم أربعة أبناء هم : أسد وأبو صيفى ونضلة وعبد المطلب وخمس بنات هن : الشفاء وخالدة وضعيفة ورقية وجنة ( ابن هشام ١ / ١٠٠ ) .

## عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم

مات المطلب فتولى أمر السقاية والرفادة ابن أخيه عبد المطلب بن هاشم فوقع بينه وبين عمه نوفل خلافات إذ تعدى نوفل على أركاح عبد المطلب ، فطلب عبد المطلب النصرة من رجال قريش ، فأبوا التدخل بينه وبين عمه ، فكتب إلى أخواله ييثرب واستنجد بهم ، فسار إليه خاله أبو سعد بن عدى ، ونزل بمكة ورفض ألا يدخل بيت عبد المطلب حتى يلقى نوفلا ، وذهب إلى نوفل حيث كان يجلس في الحجر ، فسل أبو سعد سيفه وقال : ورب البيت لنن لم ترد على ابن أختي أركاحه لأمكنن منك هذا السيف ، فقال نوفل : رددتها عليه وشهد رجال من قريش ، ونزل أبو سعد عند ابن أخته ، واعتمر وعاد إلى يثرب .

وفي حياة عبد المطلب عدة مواقف أهمها : حفر بنر زمزم وقصة نذره إن أتاه الله عشرا من الأولاد وحادثه الفيل.

## حفر بنر زمزم

رأى عبد المطلب في منامه رؤيا مباركة ، أمر فيها بحفر بنر زمزم والتي كانت قد ردمت عند خروج الجراهمة من مكة ، وقد تحدده في الرؤيا موضع البئر ، فقام بحفرها وحده ، وكانت قريش تتغامز عليه وهو يقوم بالحفر.

أنتهى عبد المطلب من حفر بنر زمزم ووجد السيوف والغزاليين من الذهب والتي كان الجراهمة قد دفنوها عند الرحيل ، فصنع عبد المطلب من السيوف بابا للكعبة وجعل الغزاليين في الباب ، وجعل زمزم لسقاية الحجيج.

أرادت قريش منازعة عبد المطلب في زمزم ، فرفض وقال : هذا أمر خصصت به ، فتحاكموا إلى كاهنة بنى سعد ، ولم يرجعوا حتى أراهم الله ما دلهم على تخصيص عبد المطلب بزمزم ، وعند ذلك نذر عبد المطلب للنن أتاه الله عشرا من الأولاد لينحرن أحدهم عند الكعبة .

وهكذا صارت زمزم تروى الحجيج منذ أن حفرها عبد المطلب وحتى يومنا هذا.

### نذر عبد المطلب

رزق عبد المطلب بعشرة أبناء هم : الحارث والزبير وأبوطالب وحمزة وأبولهب والغيداق والمقوم وصفار والعباس وعبد الله ، ورزق من البنات بست هن : أم الحكيم ( البيضاء ) وبرة وعاتكة وصفية وأروى وأميمة ( تلقيح فهوم الأثر ٦/٨ ) .

وبلغ الأبناء الحلم وصاروا شبابا يافعين يمنعونهم ويدافعون عنه ، فأخبرهم بنذره ، فأطاعوه ، فكتب أسماءهم في القداح وأعطاهم لكاهن هبل ، فضرب القداح فخرجت على عبد الله ، فحمله عبد المطلب إلى الكعبة لذبحه ، فمنعه رجال من قريش فقال لهم : وما أصنع بنذري ، فأشاروا إليه بأن يذهب إلى العرافة ، وأمرت العرافة بضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل فإن جاء الأمر على عبد الله زاد عشرا من الإبل ، ففعل عبد المطلب حتى وصلت الإبل مائة ، فوقع عليها القرعة فنحرها ، وكانت الدية يومئذ عشرا من الإبل وبعد هذه الواقعة صارت مائة من الإبل ، ولهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ( أنا ابن الذبيحين ) ويعنى إسماعيل عليه السلام وأبيه عبد الله . ( ابن هشام ١٥٥ ) .

## حادثة الفيل

فى عهد المطلب وقعت حادثة الفيل فى سنة ٥٧١ م ويقال أنها فى شهر المحرم قبل مولد النبى بخمسين يوما ، وخلاصة القصة أن أبرهة الحبشى حاكم اليمن من قبل نجاشى الحبشة ، بنى كنيسة فى اليمن وأراد أن يصرف الناس عن الحج فى مكة ، ودخل رجل من كنانة الكنيس وتبرز فيه ، وعلم أبرهة فتوعد العرب وقاد جيشا من ستين ألف جندي مدعين بالأنبيال ومتوجهين إلى الكعبة لهدمها ، ووصل على مشارف مكة ونزل بوادى محسر بين عرفات ومنى ، وركب فيلا ووجهه إلى الكعبة إلا أن الفيل أبى التقدم إلى الأمام وسرعان ما جاءت طيور صغيرة الحجم تحمل حجارة من سجيل وأسقطتها على رؤوس الجنود ، فما أصاب أحدهم حجرا إلا جعله كعصف مأكول ، ولم يتبق من الجيش الذى أرسل إلى مكة إلا القليل ، ولم يكد يصل أبرهة إلى اليمن حتى هلك .

قال تعالى : ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ( سورة الفيل ) .

وتروى كتب التاريخ أن عبد المطلب قد ذهب إلى أبرهة يطالبه بابل له أخذها جيشه ، وكان يظن أبرهة أنه جاء يرجوه فى شأن الكعبة ، فقال له قولته : إن للبيت رب يحميه ، وقد حماه الله ، وهلك جيش أبرهة .

## عبد الله بن عبد المطلب

كان عبد الله أحب أولاد عبد المطلب إلى نفسه ، كان عفيف النفس كريما ، أمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة ، ولم يكد يشب عن الطود حتى طلبه أبوه للإيفاء بالنذر فقبل طائعا مثلما فعل جـدة إسماعيل عليه السلام ولكن افتداه بمائة من الإبل .

تزوج عبد الله من آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، كان أبوها سيد بني زهرة ، فهي أفضل نساء قريش حسبا ونسبا ، تزوجها عبد الله في مكة وبعد قليل من زواجه أرسله أبوه عبد المطلب إلى يثرب لشراء التمر ، وقيل أنه كان في رحلة إلى الشام ، فمرض في يثرب ومات بها ، ودفن في دار النابغة الجعدي وهو ابن خمس وعشرين سنة .

لم يترك عبد الله سوى خمسة من الإبل وعدة أغنام وجارية حبشية أسمها بركة وكنيتها أم أيمن وهي حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالت آمنة فيه شعرا :

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم ..... وجاور لحدا خارجا في الغماغم  
دعته المنيا دعوة فاجابها ..... وماتركت في الناس مثل ابن هاشم  
عشية راحوا يحملون سريـره ..... تعاوره أصحابه في التراحـم  
فان تك غالته المنيا وريبهـا ..... فقد كان معطاء كثير التراحـم  
(طبقات ابن سعد ١/ ٦٣)

## الروضة الثانية المولد و النشأة

مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم

بشعب بنى هاشم بمكة المكرمة وفى صبيحة يوم الاثنين من أيام شهر ربيع الأول من عام ٥٧١ م ، ولد محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

بشرت آمنة جده عبد المطلب ، فجاءها فرحاً وحمله ودخل به الكعبة ، ودعا الله وحمده ، واختار له اسماً لم يكن معروفاً بين العرب من قبل وهو اسم (محمد).

روى ابن سعد فى طبقاته (٦٣/١) أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج نور من فرجى ، نور أضاعت له قصور الشام .

### ارهاصات مولده

كانت حادثة الفيل من ارهاصات مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حيث حفظ الله بيته الحرام وأبقى العرب على حالهم دون أن يطرأ عليهم تغيير من معتقدات نصرانية أبرهة حتى يصبح المجال مفتوحاً أمام دعوة التوحيد .

وكان سقوط شرفات إيوان كسرى علامة من علامات ولادة النبی محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث تساقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى ولعل رقم أربع عشرة برهان على سقوط ملك آل ساسان حيث بدأت الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس فى عام ١٤ هجرية.

وروى أن النار التي كانت تشتعل في معابد الزرادشت قد خمدت وانطفأت في هذا العام مع أنها كانت دائمة الاشتعال.

وكانت بحيرة ساوة من البحيرات الموجودة في بلاد فارس تمتلأ بالمياه ، ولكنها غاضت مياهها وجفت في هذا العام (الخضري ٦٠/١ ابن هشام ١٦٠ /١ - زاد المعاد ٦٢/١) .

وولد الهدى وأضاعت الدنيا بأنوار النبوة المرتقبة انتظارا لما سيأتي به من دين يغير وجه الأرض.  
ولد الهدى فالكائنات ضياء ..... وفم الزمان تبسم وثناء

أرضعته أمه ثم ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يدعى مسروح ، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة ، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وبذلك تكون قد أرضعت الابن وعمه ولعل ذلك يوضح مدى حب النبي صلى الله عليه وسلم لعمه سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب .

#### في مرابع بنى سعد

تقع منازل بنى سعد بين مكة والطائف ويمكن أن يراها المسافر من مكة إلى الطائف عن طريق السيل الكبير ، وقبيل دخول الطائف بعدة كيلو مترات حيث لاتزال معروفة وبها بطون قبائل يرجع بعضها إلى بنى سعد.

كان من عادة أهل مكة أن يرسلوا أبناءهم إلى البادية لتعلم سجايا العرب ولإبعادهم عن أمراض الحضر، ولإتقان لغة العرب ، كما كان من عادتهم أن يتلمسوا مراضع لأبنائهم مقابل أجر تحصل عليه المرضعة.

والتمس عبد المطلب لحفيده مرضعة من بنى سعد حيث أرسل ابنه حمزة من قبل إليهم ، واسترضع لحفيده امرأة من بنى سعد هي حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية وكان زوجها هو الحارث المكنى بأبي كبشة السعدى .

وفى بيت حليلة وجد أخوة له منها هم : عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث المعروفة بالشيماء كما كان أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وحمزة بن عبد المطلب أخوة له فى الرضاعة من حليلة السعدية.

## قصة حليلة السعدية

تروى حليلة السعدية ماراته من بركة الرضيع حين أخذته من جده، وكانت عنه راغبة قال ابن اسحق: كانت حليلة تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد . . . قالت : وذلك فى سنة شهباء لم تبق لنا شينا ، فخرجت على أتان لى مائنام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى ثديى ما يغنيه ، وما فى شاربنا ما يغذيه ، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة ، نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها أنه يتيم وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبى الصبى فكنا نقول : يتيم ، وما عسى أن تصنع أمه وجده فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيри ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى : والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ، ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه ، قال : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، قالت : فذهبت اليه فأخذته ، وما حملنى على أخذه الا انى لم أجد غيره قالت : فلما أخذته رجعت به الى رحلى ، فلما وضعت فى حجرى ، أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم نام و ما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجى إلى شاربنا تلك ، فإذا هي حافل فحلب منها ، ما شرب وشربت معه ، حتى انتهينا ريا وشبعا ، فبتنا بخير ليلة ، قال : يقول صاحبى حين أصبحنا تعلمى والله يا حليلة ، لقد أخذت نسمة مباركة و قالت : فقلت : والله انى لأرجو ذلك ، ثم رجعنا ، وركبت أنا أتانى وحملته عليها معى ، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم حتى أن



صواحبي ليقلن لي : يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعى علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله انها لهي فيقلن : والله إن لها شأنًا ، قالت : ثم قدمنا منازلنا من بنى سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا بها شباعا لبنا ، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعا ، ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعا لبنا . (ابن هشام ١٦٢ / ١ - ١٦٤) .

وتقول حليلة السعدية : فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه ، وفصلته ، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا وقدمنا به إلى أمه ونحن أحرص على مكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته فكلما أمه وقلت لها : لو تركت ابني عندي حتى يغلظ فباني أخشى عليه وباء مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى رده معنا (ابن هشام ١٦٤ / ١) .

هكذا روت حليلة السعدية ماكان من أمر رضيعها محمد صلى الله عليه وسلم ، ومكث عندها خمس سنوات حتى شب وأصبح صبيا .

### شقق صدره صلى الله عليه وسلم

في السنة الرابعة من عمره أو الخامسة عند بعض المؤرخين ، وقع حادث شقق صدر النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث روى مسلم في صحيحه (٦٢ / ١) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ( مرضعته ) فقالوا : إن محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

لم تدرك حليلة ما حدث ، ولم يكن لديها علم بما يجرى مع أنها أدركت بركة رضيعها ، وحين حدث له حادث شق الصدر ، خافت عليه وحملته إلى أمه (ابن هشام ١/ ١٦٨) .

## في حضن أمه

سعدت الأم بعودة ابنها إلى أحضانها ، وقررت أن تزور قبر أبيه عبد الله في يثرب ، فحملته وسارت به مع خادمتها أم أيمن ( بركة ) قاطعة منات الأميال حتى وصلت إلى يثرب ، وزارت قبر زوجها ، ومكثت شهرا ، ثم قررت العودة إلى مكة ، وفي الطريق مرضت ، وماتت ودفنت في الأبواء بين مكة والمدينة ، فأصبح محمد صلى الله عليه وسلم في حضن أم أيمن حتى عادت به إلى مكة (فقه السيرة للغزالي ٥٠) - الخضري ١/ ٦٣) .

لم تكد الأم تفرح بوليدها ، ولم يكد الوليد يسعد بأحضان أمه ، حتى تحققت إرادة الله بأن يعيش يتيم الأب والأم ليكون أبا لكل المسلمين بعد عدة سنوات .

## في كنف جده

بلغ محمد صلى الله عليه وسلم سن السادسة حين كفله جده عبد المطلب ، وكان عبد المطلب يحنو على حفيده ويؤثره على أولاده ، ويقربه منه دائما ، وكان عبد المطلب يضع لنفسه فراشا في ظل الكعبة ، ويجلس حوله بنوه ولا يجلس أحدهم على الفراش إجلالا لأبيهم إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يأتي ، ويجلس على الفراش ، فيأخذه أعمامه ويؤخروه ، فيقول عبد المطلب لهم إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني هذا فوالله إن له لسانا ، ثم يجلس معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع (ابن هشام ١/ ١٦٨) .

وكان عبد المطلب يجلس حفيده دائما معه في المجالس ، ويحضره معه في دار الندوة ، وذات مرة كان القوم جلوس في دار الندوة ، يبحثون الاستعداد لموسم

الحج واعداد الرفادة والسقاية والرعاية للحجيج ، وينظرون فيما قدمه التجار والأغنياء للمشاركة في هذا الموسم ، وذكروا لعبد المطلب أن حفص بن مرة لم يدفع نصيبه الذي أقره على نفسه ، وقالوا له أنهم أرسلوا له أشخاصا فلم يستجب ، فقال عبد المطلب لنرسل له مرة أخرى ، إما أن يدفع أو نرفع اسمه من الفهرس ، وطلب من حفيده محمدا صلى الله عليه وسلم ، وكان يجلس بجواره ، ولم يتعد الثمانية أعوام من عمره ، بأن يذهب الى حفص ويطلبه بنصيبه ، فقام صلى الله عليه وسلم ، وتوجه إلى حفص ومعه عامر لمساعدته ، وطلبه بأدب ، فأرسل حفص معه حصته ، وحضر إلى المجلس ليقدم الاعتذار عن التأخير ، فسألوه : لماذا لم يسلم حصته لمن أرسلوا اليه من قبل ؟ ، فقال : لأنهم كانوا يطلبون ذلك منه أمام خدمه بطريقة سيئة ودون احترام ، ولكن عندما جاءني ابن عبد الله ، فسلم على من الخارج ، وطلب إذن بالدخول ، ودخل بعد أن أذنت له مبتسما ، وتحدث إلى بأدب ، فقال : جئت إليك من عند عبد المطلب ، وأحمل لك رسالة تحية ، وأذكرك أن أيام الحج قد اقتربت ، والنفقات كثيرة والموجود قليل فاذا رأيت أنه من الصلاح أن تدفع حصتك المعروفة ، وإذا كان لديك عذر ، فقله ليعرفوه ، فقلت له : ليس لدى عذر لكن ابن من أنت ؟ قال : ابن عبد الله ، قلت : أحسن الله ذكرك يا عبد الله ، ما أحسنه من أب ، وما أحسنه من جد ، وما أحسنك من فتى ، حصتي جاهزة خذها بالكامل (محمد در شیرخوراکی وخرد سالی ، محمد شوکت ترجمه صلاح الدين سلجوقی جاب أفغانستان ٢٠١١ بيبعد ) .

لم تمر سوى سنتين وشهرين حتى مات عبد المطلب ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم قد تخطى الثامنة من عمره إلا بوقت قصير ، فعهد عبد المطلب لأبي طالب بكفالة حفيده .

### في كنف أبي طالب

كان أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم من أحب الأبناء إلى أبيه عبد المطلب ، وعندما دانت نهاية عبد المطلب ، أوصى أبا طالب برعاية ابن أخيه على الرغم من أن أبا طالب كان ذو عيال ، ومع ذلك اختصه برعايته ، وضمه إلى أولاده وقدمه عليهم كما كان يفعل عبد المطلب .

وحدث قحط في مكة فلجأ أهلها إلى أبي طالب يقولون له : أقحط الوادي وأجذب العيال ، فهلُم فاستسق ، وخرج أبو طالب ومعه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال غلاما كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قثماء ، حوله أغيلمة ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ باصبعه الغلام ، وما في السماء قرعة ، فأقبل السحاب من ههنا وههنا ، وأغدق وأغدودق وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي ( مختصر سيرة الرسول للنجدي ١٥ - ١٦ ) .

وكان أبو طالب يحمل ابن أخيه معه حيث يذهب ، وخرج ذات مرة في تجارة إلى الشام ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم ابن اثنتي عشرة سنة ، وكان معهما أبوبكر وبلال ومروا ببخيرا الراهب ، وهو نصراني يدعى سرجس ، وكان من عبد قيس ، وعندما نزلوا بصومعته ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم فعرفه ، ونظر إلى الغمام تظله حيثما جلس ، فأكرمهم بخيرا ، واصطنع لهم طعاما ، ورأى خاتم النبوة في كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع يده علي موضعه ، وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأعلم أبا بكر وبلالا بقصته وما يكون من أمره وسأل أبا طالب أن يرجع به من وجهه ذلك ، وحذره من أهل الكتاب ( مروج الذهب للمسعودي ١ / ٧٥ ) .

وقال بخيرا لعمه أبا طالب : إنكم حين أشرفتم من العقبة ، لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجدا ، ولا تسجد إلا للنبي ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة ، وإنا نجده في كتبنا ، وطلب من أبي طالب ألا يذهب إلى الشام خوفا عليه من اليهود ، فأرسله عمه مع بعض غلمانه إلى مكة ( الرحيق المختوم للمباركبوري ٤٩ ) .

وعندما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم الخامسة عشرة من عمره ، وقعت حرب الفجار بين قريش وقيس عيلان ، وسميت بحرب الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم ، وانتهكت فيها حرمت الحرم ، وكان قائد قريش ، وحليفها كنانة حرب ابن أمية وتحقق النصر فيها لقريش وكنانة ، وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحرب ، وكان ينبل على عمومته أي يجهز لهم النبل للرمى . ( ابن هشام ١ / ٦٣ ) .

أسفرت هذه الحرب في نهايتها عن اجتماع لقبائل من قريش وهم : بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان ، وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه ، وردوا مظلومه ، وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحلف الذي عرف باسم حلف الفضول ، وكان يقول صلى الله عليه وسلم : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت (النجدي ٣٠ - ابن هشام ١ / ١٣٥) .

لم تكن حياة النبي صلى الله عليه وسلم في كنف عمه سهلة ميسورة بل عمل فيها وكد ، وعمل أعمالا كان يعمل بها أنبياء سابقون له ، فقد رعى غنما في بني سعد وفي مكة على قراريط (فقه السيرة ٥٢ - ابن هشام ١ / ١٦٦) كما أخبرنا بذلك في أحاديث له صلى الله عليه وسلم .

كما عمل صلى الله عليه وسلم في التجارة ، حيث خرج مع عمه أبي طالب وهو لم يزل غلاما ، واستأمنته خديجة رضي الله عنها على مالها ، فخرج تاجرا إلى الشام ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، وكانت خديجة بنت خويلد امرأة ذات شرف ومال ، وتستثمر مالها في التجارة ، فتستأجر رجالا وتجعل لهم جعلا ، وعندما علمت بأمانة محمد صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إليه ، وعرضت عليه أن يخرج في مال لها تاجرا ، وأرسلت معه غلاما ميسرة ، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب إلى الشام في رحلة ميمونة ، وعاد بمال وفير إليها (ابن هشام ١ / ١٨٨) .

ولما وصلت رحلة العمر إلى هذا السن ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، كان قد عرف بين أهل مكة بالصدق والأمانة والأخلاق الفاضلة ، فكان أفضلهم مروءة وأحسنهم خلقا وأعزهم جوارا ، وأصدقهم حديثا ، وأبرهم وأوفاهم حتى صار قومه يلقبونه بالأمين .

وبعد أن تتبعنا مولد نبي الرحمة ، ونشأته حتى صار شابا قويا يعتمد على نفسه بعد رحلة عمر ، تنقل فيها من كنف إلى كنف ، ومن رعاية جده إلى عناية عمه ، فالآن أصبح مسنولا عن نفسه راعيا لحاله.

كانت العناية الإلهية ترعاه ، الغمام يظله حيث يذهب ، والحجر والشجر تصلى عليه حيث جلس ، والحق حاميه من كل فعل سيء ، ففي ذات مرة كان يرعى مع غلام غنما بأعلى مكة فقال للغلام : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة ، وأسمر بها كما يسمر الشباب ، فقال له الغلام : أفعل ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم عند أول دار بمكة ، فسمع عزفا ، فقال ما هذا ؟ قالوا : عرس فلان بفلاتة ، فجلس يسمع ، فضرب الله على أذنه ، فنام ، فما أيقظه إلا حر الشمس ، فعاد لصاحبه ، وحدث له مثل ذلك مرة أخرى ( ابن كثير - البداية والنهاية ٢/٢٨٧ )

## الروضة الثالثة

### فى بيت أم المؤمنين خديجة

زواجه صلى الله عليه وسلم

عندما بلغ صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين ، وذهب فى رحلة تجارة بمال خديجة رضى الله عنها وأرضاها ، وعاد منها إلى مكة ، وحكى غلامها ميسرة لها ما كان من محمد صلى الله عليه وسلم من فكر راجح وصدق وأمانة ، فوق ذلك فى قلبها ، فتحدثت به إلى صديقتها نفيسة بنت منية ، فذهبت نفيسة إلى محمد صلى الله عليه وسلم تحثه على الزواج من خديجة ، فقبل ، وخطبها من عمها ، وتزوجها بعد شهرين من عودته من الشام .

كانت خديجة فى الأربعين ، فكانت آنذاك أفضل نساء قومها حسبا ونسبا وثروة وعقلا ، رفضت الزواج من سادات ورؤساء قومها ، وقبلت بالزواج من محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت أول امرأة يتزوجها ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت كما أنها الوحيدة من بين أمهات المسلمين التى أنجبت له البنين والبنات ، ولم ينجب منهن سوى مارية التى أنجبت إبراهيم الذى توفى صغيرا ( ابن هشام ١٩٠ / ١ ) .

أنجبت خديجة ولدا القاسم وبه كان يكنى ، ثم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله ، وكان عبد الله يلقب بالطاهر والطيب ، ومات أبناؤه جميعا من خديجة ومارية وهم صغار ، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام ، وأسلمن وهاجرن ، وأدركتهن الوفاة فى حياته صلى الله عليه وسلم سوى فاطمة الزهراء رضى الله عنها وأرضاها ، فقد ماتت بعده بستة أشهر .

## بناء الكعبة

كانت الكعبة معظمة ومكرمة عند العرب قبل الإسلام وبعده، ولا تزال ، وقد اهتموا ببنائها وعمارتها ، وقد أصابها عوادي الزمن ، فتصدعت جدرانها وصارت مجرد ردم فوق القامة ، حتى أتاها سيل شديد قبل البعثة المحمدية ، بخمس سنوات فأصاب جدرانها بدمار شديد ، فقررت قريش إعادة بنائها ، واتفقوا على ألا يدخلوا فيها إلا طيبا ، وكانوا يخشون الاقتراب منها أو هدمها حتى قام الوليد بن المغيرة المخزومي بالهدم ، وتبعه الناس حين رأوا أنه لم يصبه أذى ، وهدموها حتى قواعدها .

خصصت قريش لكل قبيلة جزءا من الكعبة لبنائه ، وأحضروا الحجارة ، وتولى البناء بناء رومي يدعى باخوم ، حتى وصل البناء إلى موضع الحجر الأسود ، فاختلفوا فيمن يكون له شرف وضعه في مكانه ، واستمر النزاع عدة ليال ، واشتد حتى كاد أن يشعل حربا بينهم في الحرم إلا أن تدبر حكماءهم الأمر ، وعرض أبو أمية بن المغيرة المخزومي عليهم أن يحكموا أول داخل عليهم إلى المسجد من باب الصفا .

واشترطوا أن يكون شخصا بالغاً وأن يكون رجلاً وليس امرأة وألا يكون شخصاً سىء السمعة ، وألا يكون غريباً مجهولاً ، وأن يكون عربياً ، واتفقوا على وقت محدد يدخل فيه فإذا بالداخل إلى المسجد من باب الصفا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فقبلوا جميعاً ما يحكم به .

حكم الأمين الصادق بينهم ، وطلب رداء ، ووضع الحجر الأسود وسطه وطلب من رؤساء القبائل بأن يمسكوا طرف الرداء ، ورفعوه حتى وصلوا إلى موضعه فأخذه بيده الشريفة ، ووضعوه في مكانه .

وكان اختلاف القوم على من يضع الحجر الأسود في موضعه ، وقد وضعه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان هذا إرهاصاً له بالسيادة والقيادة عليهم وإن عاندوا وأبوا .



وارتفع بناء الكعبة إلى خمسة عشر مترا ذات شكل مربع تقريبا ، وكان الحجر الأسود قد وضع على ارتفاع ١٥٠ سم من أرض الطواف ، وصار بابها على ارتفاع مترين ، وأحاطوا منطقة الحجر وهي من أصل الكعبة ، كما قاموا بوضع سقف للكعبة من خشب لسفينة دمرتها العواصف في البحر ، فاشترؤا خشبها من صاحبها ، وحملوه إلى مكة ليصنعوا سقفا للكعبة .

حدث بناء الكعبة ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ الدعوة للإسلام بل كان في سن الخامسة والثلاثين .

### أحوال النبي صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة

كان الحق سبحانه وتعالى يعد محمدا للرسالة ، فشاع عنه الصدق والأمانة وحسن التفكير والنظر السديد وسداد الرأي وإلى جانب ذلك لم يعيش كما يعيش أهل مكة في انغماس في الملذات وعبادة الأصنام ، بل اعتزلهم وما يعبدون فلم يشرب الخمر قط ، ولم يأكل مما ذبح على النصب ، وما خفض جبينه لصنم أو وثن ، بل كان ينفر من تلك الأصنام والأوثان والأزلام وما كان يحلف أو يسمع حلفا باللات والعزى .

جمع الخصال الحسنة والأحوال الصالحة ، وكما قالت عنه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها : يحمل الكل ، ويكسب المعدوم ، ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ( صحيح البخاري ٣/١ ) .

كان يحب العزلة والتأمل والتفكير في الكون ، وما حوله من مشاهد وما وراءه من قدرة وإبداع ، وظل كذلك حتى بلغ الأربعين من عمره ، فأتاه الوحي .

## أحوال الموحدين قبل البعثة

برز في جزيرة العرب عدد من أهل التوحيد ، كان من بينهم حنظلة بن صفوان الذي أرسل إلى أهل الرس ، وقام فيهم يدعو للتوحيد فقتلوه .

وكان خالد بن سنان العبسي قد تصدى لدعوة المجوسية وعبادة النار التي بدأت تشيع بين العرب ، ولما حضرته الوفاة قال لأخوته : إذا أنا دفنت فإنه ستجىء عانة من حمير ، يقدمها غير أبتري فيضرب قبري بحافره ، فإذا رأيتم ذلك ، فانبشوا عني ، فاني سأخرج إليكم ، فأخبركم بجميع ما هو كائن ، فلما مات دفنوه ، ورأوا ما قال فأرادوا أن يخرجوه ، فكره ذلك بعضهم ، وقالوا : نخاف أن تنسبنا العرب إلى نبشنا عن ميت لنا ، وأتت ابنته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ ( قل هو الله أحد ، الله الصمد ) فقالت : كان أبي يقول هذا وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك نبي أضاعه قومه (مروج الذهب ١/ ٦٧ - ٦٨) .

وكان أسعد أبو كرب الحميري قد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وقال :

شهدت على أحمد أنه ..... رسول من الله باري النسم  
فلو مد عمري إلى عمره ..... لكنت وزيراً له وابن عم  
والزم طاعته كل من ..... على الأرض من عرب وعجم  
(مروج الذهب ١/ ٦٨) .

ومن الذين دعوا للوحدانية قس بن ساعدة الأيادي ، وكان حكيم العرب ، مقراً بالبعث ، يقول : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، وعندما جاء وفد من إياد سألهم عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : هلك فقال : رحمه الله كأنني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر ، وهو يقول : أيها الناس ، اجتمعوا ، واسمعوا ، وعوا ، من عاش مات ، ومن مات

فات ، وكل ما هو آت آت ، أما بعد ، فإن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا  
نجوم تمور ، وبحار تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وذكر أبو بكر  
الصديق له أبياتا منها :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر  
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم له قائلا : رحم الله قسا إني لأرجو أن يبعثه الله  
أمة وحده .

وكان زيد بن عمرو بن نوفيل ابن عمر بن الخطاب ، يرغب عن عبادة الأصنام  
وعابها ، فأولع به عمه الخطاب سفهاء مكة ، وسلطهم عليه ، فأذوه ، فسكن  
كهفا بحراء ، وكان يدخل مكة سرا ، وسار الى الشام يبحث عن الدين الجديد  
فسمته النصارى ومات هناك (مروج الذهب ٧٠/١) .

• وكان أمية بن أبى الصلت الثقفى شاعرا عاقلا يعلم أن نبيا يبعث من  
العرب وقال شعرا منه :

الحمد لله لا شريك له      من لم يقلها فنفسه ظالما

ووصف الجنة فقال :

فلا لغو ولا تأثيم فيه      وما فاهوا به لهم مقيم

وكان أول من كتب باسمك اللهم من بين العرب ، وأدرك النبي صلى الله عليه  
وسلم ، ولكنه لم يسلم حسدا ( مروج الذهب ٧١ / ١ - ٧٢ ) .

ومن الموحدين ورقة بن نوفل ابن عم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ،  
وقد بشرها بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وطالبه بالثبات على ما هو عليه  
ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يعفو ويصفح لايجزى بسينة ..... ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

وقيل أنه أسلم وقيل بل مات نصرانيا (مروج الذهب ١ / ٧٣ ) .

ومنهم أبوقيس صرمة بن أبي أنس من الأنصار ومن بنى النجار ، ترهب  
ولبس المسوح ، وهجر الأوثان ودخل بيتا اتخذه مسجدا لا تدخله طامث ولاجنب ،  
فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم وحسن اسلامه وقال عن النبي  
صلى الله عليه وسلم :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة ..... بمكة لايلقى صديقا مواتيا  
(مروج الذهب ١ / ٧٤) .

ومنهم بحيرا الراهب الذى عرف النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لم يزل صبي  
وآمن به فى رحلته الى الشام وقد سبق ذكره .

## فى غار حراء

رفض محمد صلى الله عليه وسلم عقائد الشرك وعبادة الأصنام ، وخلد الى  
التأمل فى الكون ، وهذا التأمل هو منهاج الأنبياء والرسل فهذا إبراهيم عليه  
السلام يهتدى إلى الله عن طريق النظر والتأمل فى الكون ، ولم يتعلق قلبه إلا  
بالسما ففضى وقته يتفكر وينظر ويتأمل فى مشاهد الكون .

كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قارب الأربعين إلا أنه كان قبل ذلك قد اعتاد على الماء والسويق ، والذهاب إلى الجبال المحيطة بمكة ، يجلس بين صخورها وشعابها يتحنث باحثاً عن الطريق الصحيح ، والمنهاج القويم ، وكان قد اعتاد الذهاب إلى جبل عال لعله أعلى جبال مكة ، وهو الجبل الذي يسمى الآن بجبل النور ، ويقع على بعد بضعة أميال تقريباً من الحرم الشريف .

وفي أعلى جبل النور كان غار حراء ، والذي لا يزال حتى يومنا هذا لا يكاد يجلس فيه أكثر من شخص ، بين عدة أحجار صلبة ملساء ، ولا يكاد المكان يتسع لراحة شخص واحد ، ويعبر إليه العابر من بين الصخور التي لاتسع لمرور شخص بدين ، ويقع هذا الغار الصغير في جهة من الجبل تشرف مباشرة نحو الكعبة المشرفة ، ويمكن للزائر أن يرى من هذا المكان مآذن الحرم الشريف ، أما ارتفاع الجبل فيحتاج لقوة بدنية للصعود عليه ، وقد قام بعض الناس بعمل درجات للصعود إلى الغار فما بال حال الجبل قبل عمل هذا الدرج .

كان محمد صلى الله عليه وسلم يقيم في هذا المكان خلال شهر رمضان من كل عام بعيداً عن هموم الدنيا ومشاغلها ، وكان يصطحب أهله أحياناً .

بقي محمد صلى الله عليه وسلم على حاله هذا لمدة ثلاث سنوات حتى بلغ الأربعين من عمره ، وقد استعد نفسياً وروحياً لاستقبال شيء ما .

بدأت آثار النبوية تتجلى له ، ومن تلك الآثار الرؤيا التي كان يراها مثل فلق الصبح ، واستمرت الرؤيا ستة أشهر ، وابتداء الرؤيا وقع في شهر مولده ربيع الأول بعد إكماله الأربعين ، وبعدها بدأ وحى اليقظة في رمضان (فتح الباري ٢٧/١) .

واختلف المؤرخون في تحديد بداية نزول الوحي خلال شهر رمضان ما بين ذكر أنه في يوم السابع أو السابع عشر أو الثامن عشر أو الحادي والعشرين أو الثامن والعشرين أو العشر الأواخر من رمضان (الحضري ٦٩ / ١) .

## نزول الوحي

قالت عائشة أم المؤمنين : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي . الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني ، ثم تقول عن رسول الله : ثم أرسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة : مالي وأخبرها الخبر ، لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عمها ، و كان شيخا كبيرا ، يؤمن بالنصرانية . فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسوال الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا ، إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ( صحيح البخاري ١ / ٣٠٢ ) .

كان هذا هو بداية نزول الوحي ، حيث بدأ جبريل عليه السلام ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويروى النبي صلى الله عليه وسلم أول نزول الوحي ، حيث خشى أن يكون ما رآه من جبريل ، وسمعه منه أن يكون قد أصابه جنة ، وبينما يسير وسط الجبل ، سمع صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرفعت رأسي إلى السماء فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء ، يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال : فوقفت أنظر إليه وشغلني ذلك عما أردت فما

أتقدم ، وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته ، كذلك فمازلت واقفا ما أتقدم أمامي ، ولا أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، حتى بلغوا مكة ، ورجعوا إليها وأنا واقف في مقامي ، ثم انصرف عني ، وانصرفت راجعا إلى أهلي ، حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها ( ملصقا بها مانلا إليها ) فقالت : يا أبا القاسم اين كنت ؟ فوالله لقد بعثت في طلبك حتى بلغوا مكة ، ورجعوا إلى ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت : أبشر يا ابن عم ، واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وأخبرته فأخبرها أنه نبي هذه الأمة ، وأن ما جاءه هو الناموس الذي كان يأتي موسى ، وطالبها أن يثبت ( الطبري ٢/٢٠٧ ) .

توقف الوحي فترة قصيرة ظل خلالها النبي صلى الله عليه وسلم حزينا ينتظر ما يثبت به فؤاده ، حتى جاءه جبريل عليه السلام مرة أخرى ، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجثت منه حتى هويت إلى الأرض ، فجننت أهلي فقلت : زملوني ، زملوني ، فزملوني ، فأنزل الله تعالى : يا أيها المدثر إلي قوله تعالى : فاهجر ثم حمى الوحي وتتابع ( صحيح البخاري ٢/٧٣٣ ) .

كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على عدة أحوال منها ، أنه كان يلقي القول في روع النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته .

ومنها أنه كان يتمثل في صورة رجل ، وكان الصحابة يرونه أحيانا .

ومنها أنه كان يأتيه في صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه ، ومنها أنه كان يأتي في صورته التي خلق عليها .

## الأمر بالدعوة

أمر الحق سبحانه وتعالى نبيه بالدعوة إلى الإيمان به وبتوحيده ، وإنذار الكافرين قال تعالى : ( يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر ) وشملت الآيات : الإنذار والتكبير ، وتطهير النفس ، وهجر المعاصي ، ولا يستكثر من الأمانى والصبر في الدعوة .

ولبى النبي صلى الله عليه وسلم نداء ربه فقام بالدعوة سرا لمدة ثلاث سنوات ، ثم جهر المدة ثلاث وعشرين سنة ، لم يتوقف يوما عن نشر دين الله وإعلاء كلمة لا إله إلا الله والله أكبر ، ولم يمت إلا بعد أن ارتفعت راية الإسلام فى كل بقاع الجزيرة العربية ، وبدأت تخرج إلى البلدان المجاورة .

---

وخلال ست وعشرين سنة تحمل خلالها كل صنوف العذاب ، كان أشدها ماوقع له فى مكة ، وهى الفترة التى يدور حوله حديثنا .

## الدعوة سرا

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته سرا ، فهو يعيش فى مكة موطن دين العرب ، فيها أصنامهم وأوثانهم ، وفيها تروج تجارة الأصنام ، وفيها سادة العرب ، ولهذا بدأ دعوته سرا خشية إثارة أهل مكة والعرب من حولهم ضد الدعوة فى بدايتها .

دعا زوجته أم المؤمنين خديجة ، فلم تتردد فى اتباعه فهى أكثر الناس دراية بصدقه وأمانته ، وهى التى بشرته بأنه نبي هذه الأمة ، حين ذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تخبره بما حدث لمحمد صلى الله عليه وسلم أول الوحي .



أما مولاه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى الذى وهبته السيدة خديجة له ،  
والذى فضل جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اللحاق بقومه ، فقد تبعه  
وآمن برسالته بمجرد أن عرضها عليه .

وكان على بن أبى طالب يعيش فى كنف ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم  
أول من آمن به من الصبيان ، ولذلك لم يسجد لصنم قط ، وكرم الله وجهه .

وكان أبو بكر الصديق صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أسلم معه  
بمجرد أن دعاه للإسلام .

ولم تكد تمر أيام حتى آمن بدعوته عثمان بن عفان والزبير بن العوام  
الأسدي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله التيمي  
فكانوا طليعة الدعوة الإسلامية .

وتوالى اعتناق القوم للإسلام فقد آمن بلال بن رباح الحبشى وأبو عبيدة بن  
الجراح وأبوسلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبى الأرقم وعثمان بن مظعون  
وقدامة وعبد الله أخواه ، وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت  
الخطاب ابنة عمه وخباب بن الأرت وعبد الله بن مسعود .

كان هؤلاء هم السابقون فى الإسلام ، حملوا لواء الدعوة وتحملوا أذى  
كثيرا ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يجتمع سرا فى دار الأرقم ، وكان  
الوحي ينزل عليه فى تلك الأيام فيثبت المؤمنين ويقوى إيمانهم .

أخذ المسلمون يتزايدون ، وقريش تدرك أن خطبا جلا سيقع ولكنها  
لاستطيع أن تميز الأمر ، وكان المسلمون يؤدون صلاة قبل طلوع الشمس  
وبعد غروبها قبل فرض الصلوات الخمس ، وكانوا يؤدونها سرا وبين الشعاب

لم تعر قريش اهتماما لأمر الدعوة في بدايتها ، وربما كان سادتها يظنون  
أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، يفعل كما فعل سابقوه أمثال أمية بن أبى الصلت  
وقس بن ساعدة وغيرهم ممن يدعون لفضائل الأعمال ، ولم يدركوا قوتها ،  
ولذلك لم يتصدوا لها الا بعد خروج الدعوة من السر الى العلن .

## الروضة الرابعة

### الدعوة من السر الى العلن

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، حريصا على حماية المسلمين من بطش قريش ، ولهذا سعى ألا يعلن هذا الأمر حتى يأتيه الأمر من الحق سبحانه وتعالى ، واستمر يدعو الناس سرا ، ويعلمهم ويفقههم أمر دينهم ، ولاغرو في أن نجد هـ كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على حماية المسلمين من بطش هؤلاء الأوائل ، قد صاروا قوادا وخلفاء وأمراء جيوش وفقهاء الدعوة ، وصار كل واحد منهم علما من أعلام الأمة .

بعد ثلاث سنوات من الدعوة سرا ، نزل قول الحق سبحانه وتعالى في سورة الشعراء ( فلا تدع مع الله إلها آخر ، فتكون من المعذنين ، وانذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٣ - ٢١٥) ، بعد أن عرضت سورة الشعراء أحوال موسى مع فرعون وقومه ، وما حدث لإبراهيم عليه السلام مع قومه ، وكذلك نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم جميعا وعلى نبينا السلام .

وعندما نزلت هذه الآية (وانذر عشيرتك الأقربين ) دعا بنى هاشم وبنى عبد المطلب بن عبد مناف إلى طعام ، ولم يتحدث إليهم في أمر الدعوة ، ولكن أبا لهب لم يفوت الفرصة فقال : أعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك فحسبك بنو أبيك إن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم

من أن يثبت بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحدا جاء على بنى أبيه بشرر مما جنت به (الرحيق المختوم ٦٨) وهذا الكلام يوضح أن الدعوة كانت قد وصلت إلى قريش، وعلموا بأمرها إلا أنهم لم يدركوها حقا، فأثر الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يتحدث إليهم، ودعاهم مرة ثانية فجاءوا إليه أيضا ولبوا دعوته على الطعام.

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين بنى قومه قائلا: الحمد لله أحمدته وأستعينه وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو أنى رسول الله إليكم.

خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، إنها الجنة أبدا أو النار أبدا، فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصحك، وأشد تصديقا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أنى أسرعهم إلى ما تحب فامض لما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك، وأمنعك غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب، وقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما بقينا.

وتروى هذه القصة على عدة روايات (صحيح مسلم ١ / ١١٤ صحيح البخاري ٢) منها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد جبل الصفا، ونادى قومه بطنا بطنا فأجابوه فقال: يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بنى كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد، أنقذى نفسك من النار فاتى والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سابلها ببلالها، ومما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: أنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا! فنزل قول الحق سبحانه وتعالى (تبت يدا أبى لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى نارا ذات لهب، وامراته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد).

هكذا بدأ أمر الدعوة علانية لبنى هاشم ثم لأهل مكة جميعا من قريش وبنى مخزوم ، وبدأ سادة مكة يدركون الخطر الذى يواجهونه ، لأنها دعوة للتوحيد وهى دعوة ستقضى على تجارة الأصنام الرانجة وتنتهى عصر السادة والعبيد ، وهى دعوة سبقت دعوة تحرير العبيد فى أمريكا بألف وأربعمائة سنة .

كان سادة قريش فى حيرة من أمرهم ، فصاحب الدعوة معروف بالصدق والأمانة والأخلاق فماذا يمكنهم أن يفعلوا ؟ لو اتهموه بالكذب ما استمع إليهم أحد ، ولو اتهموه بالخيانة وسوء الخلق ، ما وجدوا أحدا يصدقهم ، لهذا لجأوا إلى الملاينة والمسايسة فى بداية الأمر .

أرسل سادة قريش وفدا لأبى طالب عساه أن يوقف دعوة ابن أخيه ، وقالوا له : إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فبما أن نكفه عنا ، وإما أن تخلص بيننا وبينه ، فرد عليهم أبو طالب ردا جميلا ، ولكنه لم يقف فى وجه دعوة ابن أخيه .

استمر النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته ، وكانت مكة مدينة يجتمع فيها العرب من كل بقاع الجزيرة العربية فى موسم الحج ، فأرادت قريش أن تحول بينه وبين القادمين إلى مكة ، ولكنهم اختلفوا كيف يردون الناس عنه ؟ وعقدوا مجلسا ليتدبروا ماذا يقولون للعرب ؟ فقال بعضهم نقول كاهن فقال الوليد بن المغيرة : لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا سجعة ، فقالوا : نقول مجنون ، فقال لهم : ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فقالوا : نقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو الشعر ، قالوا : نقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم ثم قال : وما أنتم بقائلين من هذا شينا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه ، والمرء وزوجه والمرء وعشيرته ( ابن هشام ١ / ٢٦٥ ) .

ويروون أن الوليد بن المغيرة قد قال لهم : أمهلونى حتى أفكر فى ذلك ، فظل يفكر ويفكر ، ثم قال رأيه السابق ، ولهذا نزل فيه قول الحق سبحانه وتعالى

: إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر، ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ( المدثر ١٨ - ٢٥ ) ولهذا أعد له الحق سبحانه وتعالى عذابا شديدا قال تعالى : سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحدة للبشر عليها تسعة عشر ( المدثر ٢٦ - ٣٠ ) .

ولما جاء الأعراب إلى مكة ، أخذت قريش تحذر الناس منه ، وكان أبو لهب أشدهم عدا ، فقد سار خلف النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول للناس لا تصدقوه فاتاه صابئ كذاب .

وكانت أهم فوائد هذه المرة أن أمر الدعوة أصبح حديث القبائل ، وكان موقف قريش وأبي لهب لصالح الدعوة ، حيث لفتت انتباه القبائل للدعوة ، وما كان لرسول الله وحده أن يعلم كل القبائل لولا ملاحقة قريش له ، فعلم بعضهم بأمر الدعوة منه صلى الله عليه وسلم ، وعلم الباقيون بأمرها من قريش .

## اضطهاد قريش

سعى المشركون بوسائل شتى لإثناء النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته وسلوكوا طريق الإغراء والعروض منها ، أن يملكوهم أو يعطوه مالا كثيرا ، ثم عرضوا أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يعبد آلهتهم ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أبى كل ذلك .

## ١ - المشاركة فى العبادة

اعترض الأسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة وأميرة بن خلف والعاص ابن وائل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف الكعبة وقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ماتعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ، فنزل قول الحق سبحانه وتعالى : قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ماتعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين ( الكافرون ١ - ٦ ) .

وروا أن المشركين عرضوا عليه صلى الله عليه وسلم أن يعبدوا ربه عاما ويعبد آلهتهم عاما ، كما قالوا له : لو قبلت آلهتنا نعبد إلهك ( الرحيق المختوم ٧٤ ) ولهذا نزل قوله تعالى : فستبصر ويبصرون ، بأيكم المفتون ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين ، فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ( القلم ٥ - ٩ ) .

## ٢ - صرف الناس بالأساطير

كان النضر بن الحارث بن كلدة اليشكري ، قد رافق أباه خلال رحلة تعلمه مهنة الطب فى جنديسابور ببلاذ فارس ، وأطلع على قصص الفرس وأحاديث ملوكهم ، وكان يلاحق النبي صلى الله عليه وسلم فى مجالسه ، فكلما جلس النبي مجلسا خلفه النضر بن الحارث ويقول : والله ما محمد بأحسن حديثا منى ، ثم يحدثهم عن ملوك الفرس ورستم واسفنديار ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى (ابن هشام ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠) وفيه نزل قول الحق سبحانه وتعالى : ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذونها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (لقمان - ٦) .

وكان المشركون يدعون أن القرآن الكريم أساطير الأولين ، وأن الآيات إفك ويعترضون على كون النبي صلى الله عليه وسلم بشرا ، قال تعالى : وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ( الفرقان - ٥ ) .

وقال تعالى : وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً ( الفرقان - ٤ ).

وقال تعالى : وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ( الفرقان - ٧ ).  
وقال تعالى : ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلقون إليه أعجمي وهذا لسان عربى مبين ( النحل - ١٠٣ ).

## ٢- اتهامه صلى الله عليه وسلم بالجنون

عمل المشركون على صد العرب عن الدعوة ، وسعوا لإضعاف القوة الروحية للمسلمين ، فاتهموا النبى صلى الله عليه وسلم بالجنون واتهموه بالسحر ، وكانوا كلما مروا بالمسلمين يتغامزون ، ويتهمونهم بالضلال ، قال تعالى : وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ( الحجر - ٦ )

وقال تعالى : وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ( القلم - ٥١ ).

وقال تعالى : وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ( ص - ٤ ).

وقال تعالى : إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ( سورة المطففين - ٢٩ - ٣٢ ).

## ٤- تهديد أبى طالب

لجأ المشركون إلى أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهددوا وتوعدوا وقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ، ومنزلةً فينا ، وإننا قد



استنهيناك من ابن أخيك ، فلم تنهه ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ،  
وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا أو نناله وأياك فى ذلك حتى يهلك  
أحد الفريقين ، فبعث أبو طالب إلى ابن أخيه وقال له : لاتحملنى من الأمر مالا  
أطيق ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا عم والله لو وضعوا الشمس فى  
يمنى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك فيه ،  
ما تركته ، ثم استعبر وبكى وقام فقال له أبو طالب : اذهب يا ابن أخى ، فقل ما  
أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ( ابن هشام ١ / ٢٦٥ ) .

فلما وجد المشركون أن أبا طالب ، لم يفعل شيئا ولم يخذل ابن أخيه ،  
ساوموه وقدموا له فتى يدعى عمارة بن الوليد بن المغيرة ، وقالوا له : يا أبا  
طالب إن هذا  
لفتى أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذ فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك  
وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين أبائك وفرق جماعة قومك وسفه  
أحلامهم فنقتله فانما رجل برجل فقال : والله لبئس ما تسوموننى أعطونى ابنكم  
أغذوه لكم وأعطيك ابنى تقتلونه .

لم تفلح تهديدات قريش لأبى طالب ، ولم تأت بنفع ، وضافت قريش ذرعا  
بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فاتجهوا للاضطهاد والإيذاء والتعذيب لكل من تبع  
دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأجمعوا على أن يترصدوا النبى صلى الله عليه  
وسلم ، ليسينوا إليه ويؤذونه قولا وفعلًا ، ولجأوا إلى كل مكروه للتعدى على النبى  
صلى الله عليه وسلم .

## ٥- أفعال أبى لهب

كان أبو لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم زعيما للكفار والمشركين ، لا يكف  
عن إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنذ أول يوم دعا فيه النبى صلى الله  
عليه وسلم قومه للإسلام سارع أبو لهب فى العداة ، وقال للنبى صلى الله عليه  
وسلم : تبا لك هذا جمعتنا ؟ فنزلت سورة المسد .

كان أبو لهب قد زوج ولديه عتبة وعتبة من رقية وأم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، فلما أظهر النبي دعوته ، أمر أبو لهب ولديه بتطبيق بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقاهما ( في ظلال القرآن ٣٠ / ٢٨٢ ) .

وعندما مات عبد الله ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرح أبو لهب وسارع لتقديم البشارة لسادة قريش بأن محمدا صار أبترا ، فنزل قول الحق سبحانه وتعالى : إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبترا ( سورة المسد ) .

كان بيت أبي لهب بجوار بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كان دائم الأذية والتعدي ، وكانت زوجته أم جميل أروى بنت حرب أخت أبي سفيان سليطة اللسان ، لاتقل عداوة لرسول الله عن زوجها ، وكانت ترمى الشوك في طريقه

وأمام بيته ليلا ، وعندما علمت بوصف القرآن الكريم لها بحمالة الحطب في سورة المسد ، جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد عند الكعبة وفي يدها حجارة ووقفت أمامه وهي لاتراه ورأت أبا بكر فقالت له : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربته بهذا ، وقالت : مذمما عصينا ، وأمره أبينا ودينه قلينا ، ثم أنصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأتك ؟ فقال : مارأيتي لقد أخذ الله ببصرها عنى ( ابن هشام ١ / ٣٣٥ ) .

كان أبو لهب يلاحق النبي صلى الله عليه وسلم ويضربه بالحجر حتى يدمى عقباه ( ابن هشام ١ / ٣٣٥ ) .

شارك أبو لهب مع نفر من عتاة قريش وهم : الحكم بن أبي العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط وعدى بن حمراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا جميعا جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في التعدي والإيذاء ولم يسلم من هؤلاء سوى الحكم بن أبي العاص .

وكان عتيبة بن أبي لهب زوج إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء يوما إلى رسول الله ، وقال له : أنا أكفر بالنجم إذا هوى وبالأذى دنا فتدلى ثم تسلط عليه بالأذى وشق قميصه ، وتفل في وجهه الكريم إلا أن البزاق لم يقع عليه ، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ، وقد أستجيب دعاؤه ، فقد خرج عتيبة ذات يوم في نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام - الزرقاء وهي بلد بالأردن حاليا - فطاف بهم الأسد تلك الليلة ، فجعل عتيبة يقول : يا ويل أخى هو والله أكلى كما دعا محمد على وهو بمكة وأنا بالشام ، فغدا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه ( مختصر سيرة الرسول ١٣٥ ) .

وشارك أبو لهب في كل إيذاء جماعي قام به كفار مكة . فقام بتعذيب من آمن من العبيد بكل صنوف العذاب ، وكان من المستكبرين المستهزئين بالقرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد شارك في إيذائه في الكعبة ، وكان له اليد الطولى في المقاطعة والحصار في شعب أبي طالب ، كما كان مشاركا في تدبير مؤامرة قتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته .

لم يشارك في موقعة بدر الكبرى ، ولكنه مات ميتة منكرة بقرحة تسمى العدسة ، ودفنه أبناؤه بعد ثلاث في حفرة حفروها بجوار جثته وألقوه فيها ، وكان هذا بعد أيام قليلة من معركة بدر .

## ٦- أفعال عقبة بن أبي معيط

كان عقبة بن أبي معيط من جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أشد الناس عدا وكراهية لرسول الله ، فكان يسعى دائما في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذات يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت الحرام وأبوجهل وأصحابه جلوس إذ قال بعضهم أيكم يجيء بسلا جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى خلق الله عقبة بن أبي معيط ، حتى إذا سجد النبي لله وضعه على ظهره وبين كتفيه ، فكانوا يضحكون ويتميلون على بعضهم مرحا من فعلة ابن أبي معيط ، وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى جاءت فاطمة ، فطرح السلا عن ظهره ورفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ثم سمى اللهم عليك بأبى جهل وعلبك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف

وعقبة بن أبي معيط وعد شخصا آخر ، ويقول عبد الله بن مسعود : فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذي عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر صحيح البخاري (١ / ٥٤٣) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يرى الأذى الذي طرحه ابن أبي معيط أو أحد من جيرانه على بابه كان يقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟ .

ومن أفعال عقبة بن أبي معيط الشنيعة ، أنه وطىء على رقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان ( مختصر سيرة الرسول ١٣٥ ) . كما تفل في وجه النبي صلى الله عليه وسلم (ابن هشام ١ / ٣٦٢) .

كان ابن أبي معيط أسوأ المشركين فعلا ومن ذلك مارواه عروة بن الزبير حين سأل ابن عمرو بن العاص بأشد شيء صنعته المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبي معيط ، فوضع ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبوبكر حتى أخذ بمنكبيه ، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ( صحيح البخاري ١ / ٥٤٤ ) .

وفي حديث لأسماء بنت أبي بكر في هذه الحادثة أنه أتى الصريخ إلى أبي بكر فقال : أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا وعليه غدائر أربع ، فخرج وهو يقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ فلهوا عنه ، وأقبلوا على أبي بكر ، فرجع إلينا لا نلمس شيئا من غدائره إلا رجع معنا .

واشترك عقبة بن أبي معيط في المؤامرة الكبرى لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة قرر الهجرة من مكة إلى يثرب ( مختصر سيرة الرسول ١٣٣ ) .

هكذا كان عدو الله عقبة بن أبي معيط من المشركين العتاة لم تسنح له فرصة لإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم إلا استغلها .

## أفعال أبى جهل

أبو جهل بن هشام المخزومي، كان من سادة قريش الذين عادوا الإسلام والمسلمين عداً شديداً، وسعى لإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشتى الطرق وبكافة الوسائل، وكان يشارك المشركين في مؤامراتهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً ويستمع إليه، ويسمع القرآن الكريم، ثم ينصرف فلا يؤمن ولا يخشى الله، وكان يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل، وكان يفاخر بما ارتكبه من شرور وآثام، وكلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى في الحرم، ويتصدى له ويمنعه، وذات مرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد ألم أنك عن هذا؟ وتوعده النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو جهل: يا محمد بأى شىء تهددنى؟ أما والله أنى لأكثر هذا الوادى نادياً، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بخنقه وقال له: أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى، فقال له عدو الله: والله لا تسطيع أنت ولا ربك شينا، وأنى لأعز من مشى بين جبلية، فنزل قول الحق سبحانه وتعالى: كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى، إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا لنن له نصيباً من الناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فلیدع ناديه، سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب (العلق - ٦ - ١٩).

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة من قول لأبى جهل أنه قال: واللات والعزى لنن رأيته لأطان على رقبتة، ولأعفرن وجهه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى، زعم ليطأ رقبتة فما فجاهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه

فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاء أجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا

شارك أبو جهل في تعذيب المسلمين ، وكان إذا سمع برجل أسلم ممن له شرف ومنعة أنبه وأوعده ، وإن كان ضعيفا ضرب وأغرى به ( صحيح مسلم ) .

ومن هؤلاء الذين عذبهم أبوجهل عمار بن ياسر ، وكان قد أسلم هو وأبوه وأمه ، فكان أبوجهل يحملهم الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبهم بحرهما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهم قال : صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ، ومات ياسر من التعذيب ، وطعن أبوجهل سمية زوجته ، وهي أول شهيدة في الإسلام ، وشدد العذاب على عمار ، وكان يضع على صدره صخرا ويقول له : لن أتركك حتى تسب محمدا أو تقول في اللات والعزى خيرا ، فوافقه مكرها ، وجاء إلى النبي معذرا ، فنزل قول الحق سبحانه وتعالى : من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا ، فعليه غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم ( النحل - ١٠٦ ) .

ومما فعله عدو الله أبوجهل أنه قال يوما : يامعشر قريش إني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما يطيق حمله فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك ، أو أمنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله ما نسلمك لشيء إيدا فامض لما تريد ، فلما أصبح أخذ حجرا ثم جلس لرسول الله ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقام ليصلي ، وأخذت قريش تنتظر ماذا يفعل أبوجهل ؟ فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبوجهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه ، رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا ، قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقام إليه رجال من قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ماقلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه ، عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ، ولا أنيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل عليه السلام لودنا لأخذه ( ابن هشام ٢٩٨ / ١ ) .

وكان من فعله ماكان سببا في إسلام حمزة بن عبد المطلب ، حيث قام أبوجهل بإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالصفاء وضربه بحجر في رأسه فشجه ، حتى نزف منه الدم وانصرف أبوجهل إلى مجلس قريش عند الكعبة !

وجلس معهم ، وكان حمزة عائدا من الصيد حين سمع بما حدث من أبي جهل فاتجه حمزة الى أبي جهل وقال له : يامصفر استه تشتم ابن أخى وأنا على دينه ثم ضربه بالقوس فشجه شجرة منكرة ، فثار رجال من بنى مخزوم قوم أبي جهل وثار بنو هاشم قوم حمزة ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإبني سببت ابن أخيه سبا قبيحا ( ابن هشام ١ / ١٩٢ ) .

كان أبو جهل واحدا من الذين أسهموا فى المقاطعة التى حدثت للمسلمين وحصارهم فى شعب أبي طالب ، كما كان على رأس من دبروا لقتل النبى صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته .

كان أبو جهل يرفض الإسلام لأنه نزل على واحد من بنى عبد مناف ، وكان يقول : يامحمد نحن لا نكذبك ولكن نكذب بما جنت به ، فنزل قوله تعالى : فاتهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .

### مقتل أبي جهل

استمر أبو جهل فى عدائه للإسلام والمسلمين حتى هاجروا إلى يثرب فاستمر فى ملاحقتهم حتى جاء يوم بدر .

كان أبو جهل قائدا لجيش قريش فى موقعة بدر ، وكان تحت امرته ألف وثلاثمائة مقاتل ، فيهم صناديد قريش جميعا ماعدا أبي لهب الذى بعث رجلا بدلا منه ، ولم يتخلف من بطون قريش سوى بنى عدى .

وعندما علم أبو جهل بنجاة قافلة قريش التجارية التى كان على رأسها أبو سفيان ابن حرب ، لم ينتهى عن عزمه فى التوجه إلى المدينة قائلا : والله لا أراجع حتى نرد بدرا ، فنقيم منه ثلاثا ، فنحرق الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف لنا القيان ، وتسمع بنا العرب ، وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا .

ولكن المشاركين فى الجيش اختلفوا فيما بينهم ، منهم الأخنس بن شريق من بنى زهرة الذى قرر العودة مع قومه ولم يشهد زهرى واحد بدرا .

وسار أبو جهل بألف مقاتل ، ووصل إلى العدو القصوي على حدود وادى بدر ، وأصابهم مطر وأراد بعض القوم العودة دون قتال ، لكن أبا جهل صمم على القتال .

وحين حمى وطيس المعركة قام أبوجهل يحرض المشركين ويقول : فواللات والعزى لا ترجع حتى نقرنهم بالحبال ، وكان أبوجهل فى حماية عصابة من المشركين يصعب الوصول اليه ، ولكن الله كشفه وقتله .

روى عبد الحمين بن عوف قصة مقتل أبى جهل حيث أتاه يوم بدر فتيان حديثا السن ، وطلب كل واحد منهما إن يريه أبا جهل ، فسأل أحدهما لماذا ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إليهما بمكان أبى جهل فتوجها نحوه ، وقتلاه ، وجاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل واحد يقول أنا قتلته ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلاكما قتله ، وكان الفتيان هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء ( صحيح البخارى ١/ ٤٤٤ ) .

وقال معاذ بن عمرو : سمعت القوم و أبو جهل فى مثل الحرجة - والحرجة : الشجر الملتف - لا يوصل إليها ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه ، قال : فلما سمعتها جعلته من شائى ، فصمدت نحوه ، فلما أمكنني حملت عليه ، فضربتة ضربة أطنت قدمه - أطارتها - بنصف ساقه ، ثم قال : وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى ، فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبى ، وأجهضني القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومى ، وإنى لأسحبها خلفي ، فلما أذنتى وضعت عليها قدمي ثم

تمطيت بها عليها حتى طرحتها ، ثم مر بأبى جهل وهو عفير معوذ بن عفراء فضربه ، حتى أثبتته ، فتركه وبه رمق ، وقاتل معوذ حتى قتل .



وكان عبد الله بن مسعود ينال تعذيباً شديداً من أبي جهل حتى وطأ عنقه يوماً ، فذهب يوم بدر ، فوجد أبا جهل مجندلاً وبه رمق ، فوضع رجله على عنقه ، واخذ لحيته ليحتز رأسه ، وقال له : هل أخزأك الله يا عدو الله ! فسأله أبو جهل لمن الدائرة اليوم ؟ فقال ابن مسعود : لله ورسوله ، وكان ابن مسعود قد وضع رجله على عنقه ، فقال له أبو جهل : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يارويعي الغنم ، واحتز ابن مسعود رأسه ، وحملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكبر وحمد الله ، وألقيت جثة أبي جهل في قلب بدر مع قتلى المشركين .

### أفعال أمية بن خلف

كان أمية بن خلف الجمحي من أشد المشركين معاداة للإسلام والمسلمين ، وكان يسب النبي صلى الله عليه وسلم كلما رآه ، وكان يهمزّه ويلمزه ، والهمز هو الشتم علانية ، واللمز هو أن يعيب الناس سرا ، ويؤذيهم ، وفيه نزل قول الحق سبحانه وتعالى : ويل لكل همزة لمزة ، الذي جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخذه ، كلا لينبذن في الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة ( سورة الهمزة ١ - ٩ ) .

وكان بلال بن رباح مولى لأمية بن خلف فكان يضع في عنقه حبلاً ثم يسلمه إلى الصبيان ، يطوفون به في جبال مكة ، حتى كان أثر الحبل يظهر في عنقه .

كان أمية يؤذي بلالاً أذية شديدة ، فكان يشده شداً ، ويضربه بالعصا ، ويجلسه في حر الشمس ، ويكرهه على الجوع ، وكان يخرجّه إذا حميت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة ، ثم يضع على صدره صخرة عظيمة ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فيقول بلال : أحد ، أحد ، حتى مر به أبو بكر الصديق يوماً فاشتراه ( ابن هشام ١ / ٣١٨ ) .

وكان أمية واحداً من المشركين الذين أعدوا العدة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ، وكان سعد بن معاذ قد قال لأمية بن خلف وهو في مكة :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنهم قاتلوك ، ففزع فزعا شديدا وعهد ألا يخرج من مكة ، ولما اضطره أبوجهل للخروج يوم بدر ، اشترى أجود بعير في مكة ليفر عليه فقالت له امرأته : يا أبا صفوان أنسيت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ تقصد سعد بن معاذ ، قال : لا والله ما أريد أن أحوز معهم إلا قريبا ، وذهب ليشارك في بدر فلم يعد منها إلى مكة وقتل .

يروى أن عبد الرحمن بن عوف كان صديقا لأمية بن خلف في مكة ، وفي يوم بدر ، أسر عبد الرحمن أمية وابنه ، وكان أمية قد قال لعبد الرحمن : أما لكم حاجة في اللبن ؟ يريد أن من أسرنى ، أفنديت منه بأبل كثيرة اللبن ، وبينما يسير عبد الرحمن مع أمية وابنه ، رأى أمية حمزة بن عبد المطلب ، فقال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ، وبينما يسيروا ، رأى بلال أمية الذى كان يعذبه في مكة فقال بلال : رأس الكفر أمية بن خلف ، لانجوت إن نجا ، قال عبد الرحمن بن عوف : اى بلال أسيرى ، قال بلال : لانجوت إن نجا ، وصاح بلال بأعلى صوته : يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف ، لانجوت إن نجا ، وتجمع القوم ، وكان عبد الرحمن بن عوف ، يدفع عنه ، فلما ضرب رجل ابن أمية ، فوقع وصاح أمية فأسرع عبد الرحمن بن عوف ، ونجا بنفسه ، وقال له : ما أغنى عنك شيئا ، فقتله القوم ، وكان عبد الرحمن بن عوف يقول : رحم الله بلالا ، ذهبت أدراعى وفجعنى فى أسيرى .

ويروى أن عبد الرحمن بن عوف قال لأمية أبرك ، فبرك فألقى نفسه عليه فأخذ القوم يضربونه بالسيف من تحته حتى قتلوه ، وأصاب بعض السيف عبد الرحمن ابن عوف ( زاد المعاد ٢ / ٨٩ ) .

### أفعال أبى بن خلف

كان أبى بن خلف أخو أمية من أشد أعداء الله ، فقد طلب من ابن أبى معيط أن يتنقل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ، وقد أخذ عظاما ذات يوم وفتتها ثم نفخها في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان أبى يتوعد النبى صلى الله عليه وسلم بالقتل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله ، فلما كان أحد ، كان أبى يقول: أين محمد ، لا نجوت إن نجى ! فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ أى يقوم إليه أحدنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجه بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه فيها طعنة تدادأ أى تدحرج ، منها عن فرسه مرارا ، فلما رجع إلى قريش وكان قد خدش خدشا غير كبير ، فاحتقن الدم قال : قتلنى والله محمد ، قالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إن بك من بأس ، قال : إنه كان قد قال لى فى مكة أنا أقتلك ، فوالله لو بصبق على لقتلنى ، فمات بمنطقة تدعى سرف أثناء عودتهم إلى مكة ، وكان يخور خوار الثور ويقول : والذى نفسى بيده لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا جميعا ( مختصر سيرة الرسول ٢٥٠ ) .

### أفعال الأخنس بن شريق

ومن المشركين الذين آذوا النبى صلى الله عليه وسلم ، الأخنس بن شريق الثقفى ، وكان يسب النبى صلى الله عليه وسلم ، ويشتمه كلما رآه ، وقد نزل فيه قول الحق سبحانه وتعالى : ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، إذ تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، سنسمه على الخرطوم ( القلم - ١٠ - ١٦ ) .

### اضطهادات المشركين

بالإضافة إلى هؤلاء النفر الذين سبق ذكرهم تعدد عدد من أسياد قريش اضطهاد المسلمين وملاحقتهم ومن هؤلاء :

النضر بن الحارث الذي كان يعرف قصص الفرس ، ويلاحق النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسعى لصرف الناس عنه بقص القصص عن بطولات رستم واسفنديار ، كما أنه في رواية لابن عباس أن النضر بن الحارث اشترى قينات فكان إذا سمع برجل مال إلى النبي صلى الله عليه وسلم سلط عليه واحدة منهن تطعمه وتسقيه وتغنى له ، حتى لا يبقى له ميل إلى الإسلام ، وفيه نزل قول الحق سبحانه وتعالى : ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ( لقمان - ٦ ) .

• أم مصعب بن عمير التي حبست ابنها وأجاعته وعذبتة وطرדתة من بيته حين علمت بإسلامه فعاش حياة قاسية بعد أن كان منعما (رحمة للعالمين ١ / ٥٨) .

• تعاون المشركون في تعذيب المسلمين ، ومن الذين ذاقوا العذاب على أيديهم أبو فكيهة - اسمه أفلح - مولى بنى عبد الدار ، كانوا يشدون برجله الحبل ثم يجرونه على الأرض .

• وكان خباب بن الأرت مولى لأم أنمار الخزاعية ، وكان المشركون يأخذون بشعر رأسه ، فيجذبونه جذبا ، ويلوون عنقه بعنف ، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة ، ثم وضعوا عليه حجرا حتى لا يستطيع أن يقوم ( من إعجاز التنزيل ٥٣ ) .

• وكانت زنيرة والنهدية وأم عبيس وبنت النهدية ، إماء أسلمن ، فكن ينلن من العذاب فلا يطاق .

• وكانت جارية بنى مؤمل من بنى عدى ، تضرب وتعذب لإسلامها ، وقد اشترى أبوبكر الصديق رضي الله عنه هؤلاء الجوارى وأعتقهن .

كانت فكرة إعدام النبي صلى الله عليه وسلم ، تسيطر على المشركين من حين لآخر ، وذات يوم جلسوا يدبرون الأمر ، فإذا به يخرج عليهم فأخذوا ،

يغمزونه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يرد عليهم ، وفعلوا ذلك ثلاث مرات ، وفي الثالثة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جنتكم بالذبح ، فصمتوا وتلاطفوا وقالوا له : أنصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا ، وكانوا يخافون دعوته عليهم ، وفي المرة الثانية ، اجتمعوا وتدبروا ، فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا عليه جميعا فقام أبو بكر دونه ، وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلا يقول ربى الله ، ثم أنصرفوا .

وتحالف المشركون على ألا يناكحوا المسلمين ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، وكتبوا بذلك صحيفة ، وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة ، وحبس المسلمون فى شعب أبى طالب ثلاثة أعوام ، أكلوا خلالها ورق الشجر والجلود ، وعانى المسلمون خلالها أشد المعاناة ، حتى اجتمع هشام بن عمرو وزهير بن أبى أمية المخزومي ، والمطعم بن عدي ، وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود ، وقرروا نقض الصحيفة ، وتصدى لهم أبوجهل فأخبرهم أبوطالب من أن الأرضة قد أكلت صحيفة الجور والظلم ، ولم يبق منها إلا ذكر الله عز وجل ، وأن ابن أخيه قد أخبره بذلك وقال : إن كان كاذبا خلينا بينكم وبينه إن كان صادقا رجعت عن قطيعتنا ، وظلمنا ، قالوا : أنصفت ، فأحضروا الصحيفة ، ورأوا الأرضة قد أكلتها ولم يبق منها سوى : باسمك اللهم ، فأنهوا فترة الحصار ، ومع ذلك لم يؤمنوا بعد أن رأوا هذه الآية .

وعندما مات أبو طالب أخذت قريش تزيد من إيذائها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد اعترضه مرة أحد المشركين ، فنثر على رأسه التراب ، ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته تغسله وتبكي ، فقال لها : لا تبكى يا بنيتى فإن الله مانع أباك .

هكذا كانت الفترة التى عاشها النبي صلى الله عليه وسلم فى مكة ، وفى بيت خديجة أم المؤمنين فترة صعبة ، واجه فيها كل صنوف التعذيب ، ووقفت خديجة معه تؤازره ، وتشد من عضده ، وتسانده فى دعوته ، كما كان أبوطالب

يحمى ابن أخيه إلا أن أبا طالب لم يسلم حيث كان أبوجهل على رأسه حين الوفاة  
والنبي صلى الله عليه وسلم يدعو للإيمان وأبو جهل يدعو لدين عبد المطلب ،  
فكان آخر ما قاله : على ملة عبد المطلب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم  
: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزل قوله تعالى : ما كان للنبي والذين آمنوا أن  
يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب  
الجحيم ( التوبة - ١١٣ ) .  
وعندما مات أبو طالب وماتت خديجة رضى الله عنها كان قد مر عشر سنوات  
من الدعوة .

## الروضة الخامسة

### الإسلام يخرج من مكة

كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، يلتقي بالقادمين إليها من الحجاج والزوار والتجار ، ولكن كفار قريش اتفقوا على أن يحولوا بينه وبين القادمين ، فكانوا يستقبلون القوم ويحذرونهم ، وكان أبولهب يقول للقادمين : لاتطيعوه فإنه صابىء كذاب (مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٤٩٢) .

ظل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو من جاء إلى مكة وسوق عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وكان المسلمون في مكة يتعرضون لأشد أنواع العذاب ، ونزلت سورة الكهف وفيها هجرة أصحاب الكهف إلى الله : وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا ( الكهف ) .

### الإسلام في الحبشة

في سنة خمس من النبوة ، هاجر أول فوج من المسلمين من مكة إلى الحبشة ، وكان عليها ملك عادل ، فقرر النبي صلى الله عليه وسلم إرسال أول فوج من المسلمين إليه ، وكانوا اثني عشر رجلا وأربع نساء ، وكان عثمان ابن عفان على رأسهم ، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خرج المهاجرون في ظلمة الليل حاملين إسلامهم إلى بلد آخر ، وكانوا قد توجهوا إلى الشعيبة ، وركبوا البحر منها إلى الحبشة ، ولم يلحق بهم كفار قريش وأقاموا عدة شهور إلى أن وقعت حادثة طريفة تبرز صدق الدعوة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خواتيم سورة النجم ، وكفار قريش يستمعون إليه حتى وصل إلى قوله تعالى : ( فاسجدوا لله وأعبدوا ) فسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وسجد كفار قريش ، وهم لا يدركون ، فلما عوتبوا ممن لم يحضر هذا المشهد ، كذبوا وقالوا لقد ذكر آلهتنا .

وصل الخبر إلى المهاجرين في الحبشة على أن كفار مكة قد أسلموا ، فرجعوا إلى مكة في نفس السنة إلا أنهم عندما اقتربوا عرفوا الأمر ، فرجع بعضهم إلى الحبشة ، ودخل بعضهم مكة في جوار رجل من قريش .

ثم اشتد الأذى بالمسلمين في مكة فقرروا الهجرة إلى الحبشة ، وهاجر في المرة الثانية ثلاثة وثمانون رجلا وثمان عشرة أو تسع عشرة امرأة .

أرسل المشركون وفدا إلى النجاشي ، وهما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة قبل أن يسلم ، وحملوا الهدايا للنجاشي وطلبوا إعادة الفارين إليهم ولكن النجاشي استمع إلى المسلمين ، فتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب فقال : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل منا القوى الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . . . ثم قال : فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى . . . فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال له جعفر : نعم فقال له النجاشي : فاقرأه على ، فقرأ عليه صدرا من كهيعص ، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وقال : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .



وفى اليوم التالي أراد عمرو بن العاص الإيقاع بالمسلمين فقال للنجاشى :  
إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما ، فأرسل النجاشى إلى المسلمين  
فصدقوه القول وقالوا : نقول الذى جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو  
عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فقال النجاشى :  
أذهبوا فأنتم شيوم بأرضى ، والشيوم أى آمنون بلسانه ، ورد الهدايا على عمرو  
وأخرجهما .

وقد أسلم النجاشى والدليل على ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى  
عليه حين علم بموته .

## الإسلام فى الطائف

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذ فى دعوة القادمين إلى مكة فى  
موسم الحج من كل عام ، وبعد عدة سنوات وفى السنة العاشرة للنبوّة قرر  
الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتوجه إلى الطائف ، وهى تبعد عن مكة بمائة  
كيلو متر تقريبا ، وكان معه مولاة زيد بن حارثة .

سار النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ماشيا على قدميه ، وكان يدعو  
القبائل التى تسكن بين مكة والطائف ، ولكن لم يجب دعوته أحد منها ، فاستمر  
فى سيره ، حتى وصل الطائف ، فالتقى بثلاثة من أبناء عمرو بن عمير الثقفى ،  
فجلس إليهم ودعاهم للإسلام فقال أحدهم : أنه يمزق ثياب الكعبة إن كان الله  
أرسله ، وقال الآخر : أما وجد الله أحدا غيرك ، وقال الثالث : والله لا لأكلمك  
أبدا ، فقام عنهم رسول الله وقال لهم : إذا فعلتم ، ما فعلتم فاكنتموا عني .

ظل الرسول صلى الله عليه وسلم عشرة أيام فى الطائف ، يدعو أهلها فقال  
له أشرافها : أخرج من بلادنا ، وأغروا به سفهاءهم ، فوقفوا صفين وجعلوا  
يرمونه بالحجارة وبكلمات السفه ، ورجموا عراقبيه حتى اختضب نعلاه بالدماء

وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى أصابه شج في راسه ، واستمروا في ملاحقته حتى لجأ إلى جدار لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، وجلس في ظل كرمة عنب ، ودعا ربه قائلا : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي و قلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي من غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (صحيح مسلم ١٠٩/٢) .

ورآه غلام نصراني يدعى عداس كان عند ابني ربيعة ، فأخذ قطفا من العنب ، وذهب إليه فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قائلا : بسم الله ثم أكل ( ابن هشام ٤٢١/١ ) فقال عداس : إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أي البلاد أنت ؟ قال : أنا نصراني من أهل نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الرحيق المختوم ١١٤ ) : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، قال : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخي كان نبيا ، وأنا نبي ، فأكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه يقبلها (الرحيق المختوم ١١٤) .

وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وفي قرن المنازل رفع رأسه إلى السماء فوجد سحابة تظله ، فابذا فيها جبريل ، وناداه جبريل عليه السلام : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، وسلم ملك الجبال على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - والأخشبان هما جبلا أبو قبيس والقعيقعان - قال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده ولا يشرك به أحدا ( صحيح البخاري ٤٥٨/١ ) .

وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم بوادي نخلة في طريقه إلى مكة ثلاثة أيام ، وخلالها استمع إليه نفر من الجن ، فأمنوا به ، قال تعالى : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ( الجن ١ - ٣ ) وقال تعالى : وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ( الأحقاف - ٢٩ ) وكان في هذه الآيات بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لقلبه .

وعندما عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة وطلب الجوار من الأخنس ابن شريق ثم من سهيل بن عمرو فلم يجيرا فطلبها من المطعم بن عدى فأجاره ودخل مكة في جوار المطعم بن عدى فاتجه إلى الحرم فاستلم الركن ، وصلى ركعتين وعاد إلى منزله ، وكان المطعم بن عدى وأولاده يحيطون به ، وقد حفظ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الجميل لمطعم وقال في أسرى بدر : لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له (صحيح البخاري ٥٧٣/٢) .

## الإسلام بين القبائل

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرض الإسلام على قبائل كثيرة منها بنى عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفزارة وغسان ومرة وسليم وعبس وبنى النضر وبنى البكاء وكندة وكتب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة وحنيفة ولم يستجب له أحد .

جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بنى عبد الله من بنى كلب فدعاهم وقال لهم : يا بنى عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم ، ولكن لم يؤمنوا به .

وأتى إلى بنى عامر بن صعصعة ، فدعاهم فقال له أحدهم : أياكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ، فأبوا عليه وعندما تحدث القوم إلى شيخ منهم وقالوا له : جاءنا فتى من قريش يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا ، فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلاف ؟ لذناياها من مطلب ؟ والذي نفس فلان بيده ماتقولها إسماعيلي قط ، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم ؟ (ابن هشام ٤٢٥) ويعنى هل يمكن تدارك الأمر ، ولو أمسكنا حتى بذنب الأمر ، ويعنى ذلك الندم على عدم الاستجابة للدعوة .

أما الذين آمنوا بالإسلام من قبائل العرب وليسوا من أهل مكة فهم :  
\* سويد بن صامت وإياس بن معاذ وهما من يثرب ، عرض الرسول الإسلام على سويد ، وهو شاعر يثربى فأسلم سنة ١١ من النبوة وقتل يوم بعث (ابن هشام ٤٢٧) ، أما إياس فكان مع وفد من الأوس جاء طالبا الحلف مع قريش ضد الخزرج ، وتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستمع إليه وكان يهلل ويكبر ويحمد ويسبح عند موته . (ابن هشام ٤٢٧/١) .

\* أبو ذر الغفاري من قبيلة غفار ، علم بظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عصاه ورحل إلى مكة ، ومكث فيها ، لا يريد أن يسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى تلقاه على بن أبى طالب ، فأخذه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم أبو ذر ، وذهب إلى المسجد ، وصاح بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فقاموا إليه ، وضربوه ، فأدركه العباس وقال لهم : ويلكم أتقتلون رجلا من غفار ؟ ومتجركم وممركم على غفار .

\* طفيل بن عمرو الدوسى من قبيلة دوس قرب اليمن ، وجاء مكة وسعى أهلها للحيلولة بينه وبين لقاء النبي صلى الله عليه وسلم لمكانته وشرفه بين قومه وخشية أن يؤمن ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وأسمعه قرآنا

فأمن ، وكان له آية لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان النور في وجهه كأنه مصباح ، فقال اللهم في غير وجهي أخشى أن يقولوا : هذه مثلة ، فتحول النور إلى سوطه ، فدعا أباه وزوجته فأسلما ، وهاجر بعد ذلك ومعه سبعون أو ثمانون بيتا من قومه إلى المدينة ، واستشهد يوم اليمامة (مختصر سيرة الرسول ١٤٤ - ابن هشام ١/ ٣٨٣) .

\* ضماد الأزدي من أزد شنوءة من اليمن ، جاء مكة فسمع أهلها يقولون عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه مجنون ، وكان ضماد له في الرقية ، فقال : يا محمد إني أرقى من الريح فهل لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . . فقال له ضماد : أعد على كلماتك فأعادها ثلاث مرات ، فقال ضماد : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن قاموس البحر ، هات يدك أبياعك على الإسلام فبايعه ( صحيح مسلم ٥٢٥/٢ ) .

## الإسلام في يثرب

في موسم الحج سنة ١١ من النبوة ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج من مكة ليعرض الإسلام على القبائل القادمة ، وذات ليلة مر بعقبة منى فسمع أصوات رجال يتكلمون فعمد إليهم حتى لحقهم وكانوا ستة رجال من شباب يثرب كلهم من الخزرج ( ابن هشام ١/ ٢٧٤ ) وهم :

- \* أسعد بن زرارة - من بني النجار .
- \* عوف بن الحارث بن رفاعة ابن عفراء - من بني النجار .
- \* رافع بن مالك بن العجلان - من بني زريق .

- \*قطبة بن عامر بن حديدة - من بنى سلمة .
- \* عقبه بن عامر بن نابى - من بنى حرام بن كعب .
- \* جابر بن عبد الله بن رئاب - من بنى عبيد بن غنم .

فلما لحق بهم النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : من موالى اليهود ؟ أى حلفائهم قالوا : نعم قال : أفلا تجلسون أكلكم ؟ قالوا : بلى فجلسوا معه فشرح لهم الإسلام ودعاهم ، وتلا عليهم القرآن ، فقالوا لبعضهم : إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه فأسرعوا إلى إجابة دعوته ، وأسلموا .

فلما عادوا وانتشر الأمر بين أهل يثرب ، ولم يبق بيت إلا وفيه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

### بيعة العقبة الأولى

أبلغ الرجال الستة أهل يثرب بأمر الدعوة فجاء فى العام التالى الثانى عشر من النبوة اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الذين جاءوا العام السابق ، ولم يحضر السادس فكان جملة من أتوا فى ذلك العام وأسلموا سبعة آخرون وهم :

- \* معاذ بن الحارث ابن عفراء - من بنى النجار .
- \* ذكوان بن عبد القيس - من بنى زريق .
- \* عبادة بن الصامت - من بنى غنم .
- \* يزيد بن ثعلبة - من حلفاء بنى غنم .
- \* العباس بن عبادة - من بنى سالم .
- \* أبو الهيثم بن التيهان - من بنى عبد الأشهل .
- \* عويم بن ساعدة - من بنى عمرو بن عوف .

وقد بايعوه في عقبة منى ، وكانت هذه هى بيعة العقبة الأولى .

انتقل الإسلام إلى يثرب ، وأصبح بها ثلاثة عشر مسلماً ، ليسوا من حى واحد بل من عدة أحياء من الأوس والخزرج ، فكانوا طليعة الوجود الإسلامى فى يثرب ، وقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم معهم أول سفير فى الإسلام وهو مصعب بن عمير العبدرى ليفقههم فى الدين .

### مصعب وأسيد

نزل مصعب بن عمير بدار أسعد بن زرارة ، وذات يوم نزل مصعب وأسعد بحائط من حوائط بنى ظفر ، وجلسا على بنر يقال له بنر مرق ، واجتمع لهم بعض المسلمين ، ورأى سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما من سادات قومهم أن يذهب أسيد إلى مصعب وأسعد ليزجرهما ويطردهما من هذا المكان ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ، وكره أن يذهب إليه ، فذهب أسيد ومعه حربته وجاءهما متشتما ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ماتكره ، فقال : أنصفت وجلس وسمع وآمن وعاد إلى سعد بن معاذ بوجه غير الذى ذهب به .

### مصعب وسعد بن معاذ

كان سعد بن معاذ سيد قومه ، فقام وحمل حربته وتوجه إلى حيث يجلس مصعب وأسعد بن زرارة ، فوقف متشتما ، ثم قال لأسعد : والله يا أبا أمامة لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، تغشانا فى دارنا بما نكره ؟ قال

مصعب لسعد : أو تقعد فتسمع ؟ فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ماتكره ، قال قد أنصفت ، ثم ركز حربته فجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن ، قال : كيف تصنعون إذا أسلمتم ؟ قالوا : تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين ، ففعل ذلك .

عاد سعد بن معاذ إلى قومه بوجه غير الذي ذهب به ، ووقف عليهم ، قائلا : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقية قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة إلا رجل واحد وهو الأصيرم الذي تأخر إسلامه إلى أحد ، وقاتل ، وقتل ، ولم يسجد لله سجدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عمل قليلا وأجر كثيرا . وهكذا شاع الإسلام في يثرب بعد إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ.

## بيعة العقبة الثانية

في سنة ١٣ من النبوة ، جاء من يثرب بضع وسبعون شخصا في موسم الحج ، وكانوا قد اتفقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على لقائهم بالعقبة أوسط أيام التشريق .

يقول كعب بن مالك الأنصاري : خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا - وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا - فكلمناه ، وقلنا له : يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطبا للنار غدا ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا في العقبة ، فأسلم ، وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

ويقول كعب : فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا



وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى أصابه شج في راسه ، واستمروا في ملاحقته حتى لجأ إلى جدار لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، وجلس في ظل كرملة عنب ، ودعا ربه قائلا : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي و قلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي من غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (صحيح مسلم ١٠٩/٢)

ورآه غلام نصراني يدعى عداس كان عند ابني ربيعة ، فأخذ قطفا من العنب ، وذهب إليه فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قائلا : بسم الله ثم أكل (ابن هشام ٤٢١/١) فقال عداس : إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أي البلاد أنت ؟ قال : أنا نصراني من أهل نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرحيق المختوم ١١٤): من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، قال : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخي كان نبيا ، وأنا نبي ، فأكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه يقبلها (الرحيق المختوم ١١٤).

وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وفي قرن المنازل رفع رأسه إلى السماء فوجد سحابة تظله ، فإذا فيها جبريل ، وناداه جبريل عليه السلام : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، وسلم ملك الجبال على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - والأخشبان هما جبلا أبو قبيس والقعيقعان - قال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده ولا يشرك به أحدا (صحيح البخاري ٤٥٨/١).

وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم بوادي نخلة في طريقه إلى مكة ثلاثة أيام ، وخلالها استمع إليه نفر من الجن ، فأمنوا به ، قال تعالى : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ( الجن ١ - ٣ ) وقال تعالى : وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ( الأحقاف - ٢٩ ) وكان في هذه الآيات بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لقلبه .

وعندما عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة وطلب الجوار من الأخنس ابن شريق ثم من سهيل بن عمرو فلم يجبراه فطلبها من المطعم بن عدي فأجاره ودخل مكة في جوار المطعم بن عدي فاتجه إلى الحرم فاستلم الركن ، وصلى ركعتين وعاد إلى منزله ، وكان المطعم بن عدي وأولاده يحيطون به ، وقد حفظ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الجميل لمطعم وقال في أسرى بدر : لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هولاء لنتنى لتركتم له (صحيح البخاري ٥٧٣/٢) .

## الإسلام بين القبائل

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرض الإسلام على قبائل كثيرة منها بني عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفزارة وغسان ومرة وسليم وعيس وبني النضر وبني البكاء وكندة وكنب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة وحنيفة ولم يستجب له أحد .

جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني عبد الله من بني كلب فدعاهم وقال لهم : يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم ، ولكن لم يؤمنوا به .

وأتى إلى بنى عامر بن صعصعة ، فدعاهم فقال له أحدهم : أياكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ، فأبوا عليه وعندما تحدث القوم إلى شيخ منهم وقالوا له : جاعنا فتى من قريش يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا ، فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلاف ؟ لذناياها من مطلب ؟ والذي نفس فلان بيده ماتقولها إسماعيلي قط ، وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم ؟ (ابن هشام ٤٢٥) ويعنى هل يمكن تدارك الأمر ، ولو أمسكنا حتى بذنب الأمر ، ويعنى ذلك الندم على عدم الاستجابة للدعوة .

أما الذين آمنوا بالإسلام من قبائل العرب وليسوا من أهل مكة فهم :  
\* سويد بن صامت وإياس بن معاذ وهما من يثرب ، عرض الرسول الإسلام على سويد ، وهو شاعر يثربي فأسلم سنة ١١ من النبوة وقتل يوم بعث ( ابن هشام ٤٢٧ ) ، أما إياس فكان مع وفد من الأوس جاء طالبا الحلف مع قريش ضد الخزرج ، وتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستمع إليه وكان يهلل ويكبر ويحمد ويسبح عند موته . (ابن هشام ٤٢٧/١) .

\* أبو ذر الغفاري من قبيلة غفار ، علم بظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عصاه ورحل إلى مكة ، ومكث فيها ، لا يريد أن يسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى تلقاه على بن أبي طالب ، فأخذه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم أبو ذر ، وذهب إلى المسجد ، وصاح بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فقاموا إليه ، وضربوه ، فأدركه العباس وقال لهم : ويلكم أتقتلون رجلا من غفار ؟ ومقجركم وممركم على غفار .

\* طفيل بن عمرو الدوسى من قبيلة دوس قرب اليمن ، وجاء مكة وسعى أهلها للحيلولة بينه وبين لقاء النبي صلى الله عليه وسلم لمكاته وشرفه بين قومه وخشية أن يؤمن ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وأسمعه قرآنا

فأمن ، وكان له آية لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان النور في وجهه كأنه مصباح ، فقال اللهم في غير وجهي أخشى أن يقولوا : هذه مثلة ، فتحول النور إلى سوطه ، فدعا أباه وزوجته فأسلما ، وهاجر بعد ذلك ومعه سبعون أو ثمانون بيتا من قومه إلى المدينة ، واستشهد يوم اليمامة (مختصر سيرة الرسول ١٤٤ - ابن هشام ١/ ٣٨٣) .

\* ضماد الأزدي من أزد شنوءة من اليمن ، جاء مكة فسمع أهلها يقولون عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه مجنون ، وكان ضماد له في الرقية ، فقال : يا محمد إني أرقى من الريح فهل لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . . فقال له ضماد : أعد علي كلماتك فأعادها ثلاث مرات ، فقال ضماد : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن قاموس البحر ، هات يدك أبيك علي الإسلام فبايعه ( صحيح مسلم ٢/ ٥٢٥ ) .

## الإسلام في يثرب

في موسم الحج سنة ١١ من النبوة ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج من مكة ليعرض الإسلام على القبائل القادمة ، وذات ليلة مر بعقبة منى فسمع أصوات رجال يتكلمون فعمد إليهم حتى لحقهم وكانوا ستة رجال من شباب يثرب كلهم من الخزرج ( ابن هشام ١/ ٤٢٧ ) وهم :

- \* أسعد بن زرارة - من بني النجار .
- \* عوف بن الحارث بن رفاعة ابن عفراء - من بني النجار .
- \* رافع بن مالك بن العجلان - من بني زريق .

\*قطبة بن عامر بن حديدة - من بنى سلمة .  
\* عقبه بن عامر بن نابى - من بنى حرام بن كعب .  
\* جابر بن عبد الله بن رناب - من بنى عبيد بن غنم .

فلما لحق بهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : من موالى اليهود ؟ أى حلفائهم قالوا : نعم قال : أفلا تجلسون أكلكم ؟ قالوا : بلى فجلسوا معه فشرح لهم الإسلام ودعاهم ، وتلا عليهم القرآن ، فقالوا لبعضهم : إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه فأسرعوا إلى إجابة دعوته ، وأسلموا .

فلما عادوا وانتشر الأمر بين أهل يثرب ، ولم يبق بيت إلا وفيه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

### بيعة العقبة الأولى

أبلغ الرجال الستة أهل يثرب بأمر الدعوة فجاء فى العام التالى الثانى عشر من النبوة اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الذين جاءوا العام السابق ، ولم يحضر السادس فكان جملة من أتوا فى ذلك العام وأسلموا سبعة آخرون وهم :

\* معاذ بن الحارث ابن عفراء - من بنى النجار .  
\* ذكوان بن عبد القيس - من بنى زريق .  
\* عبادة بن الصامت - من بنى غنم .  
\* يزيد بن ثعلبة - من حلفاء بنى غنم .  
\* العباس بن عبادة - من بنى سالم .  
\* أبو الهيثم بن التيهان - من بنى عبد الأشهل .  
\* عويم بن ساعدة - من بنى عمرو بن عوف .

وقد بايعوه في عقبة منى ، وكانت هذه هي بيعة العقبة الأولى .

انتقل الإسلام إلى يثرب ، وأصبح بها ثلاثة عشر مسلما ، ليسوا من حى واحد بل من عدة أحياء من الأوس والخزرج ، فكانوا طليعة الوجود الإسلامى فى يثرب ، وقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم معهم أول سفير فى الإسلام وهو مصعب بن عمير العبدرى ليفقههم فى الدين .

### مصعب وأسيد

نزل مصعب بن عمير بدار أسعد بن زرارة ، وذات يوم نزل مصعب وأسعد بحائط من حوائط بنى ظفر ، وجلسا على بنر يقال له بنر مرق ، واجتمع لهم بعض المسلمين ، ورأى سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما من سادات قومهم أن يذهب أسيد إلى مصعب وأسعد ليزجرهما ويطردهما من هذا المكان ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ، وكره أن يذهب إليه ، فذهب أسيد ومعه حربته وجاءهما متشتما ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ماتكره ، فقال : أنصفت وجلس وسمع وأمن وعاد إلى سعد بن معاذ بوجه غير الذى ذهب به .

### مصعب وسعد بن معاذ

كان سعد بن معاذ سيد قومه ، فقام وحمل حربته وتوجه إلى حيث يجلس مصعب وأسعد بن زرارة ، فوقف متشتما ، ثم قال لأسعد : والله يا أبا أمامة لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، تغشانا فى دارنا بما نكره ؟ قال

مصعب لسعد : أو تقعد فتسمع ؟ فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ماتكره ، قال قد أنصفت ، ثم ركز حربته فجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن ، قال : كيف تصنعون إذا أسلمتم ؟ قالوا : تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين ، ففعل ذلك .

عاد سعد بن معاذ إلى قومه بوجه غير الذي ذهب به ، ووقف عليهم ، قائلا : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيّة قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة إلا رجل واحد وهو الأصيرم الذي تأخر إسلامه إلى أحد ، وقاتل ، وقتل ، ولم يسجد لله سجدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عمل قليلا وأجر كثيرا . وهكذا شاع الإسلام في يثرب بعد إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ .

### بيعة العقبة الثانية

في سنة ١٣ من النبوة ، جاء من يثرب بضع وسبعون شخصا في موسم الحج ، وكانوا قد اتفقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على لقائهم بالعقبة أوسط أيام التشريق .

يقول كعب بن مالك الأنصاري : خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا - وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا - فكلمناه ، وقلنا له : يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطبا للنار غدا ثم دعواناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا في العقبة ، فأسلم ، وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

ويقول كعب : فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا

وامرأتان من نساءنا هما ، نسيبة بنت كعب - أم عمارة - من بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو - أم منيع من بني سلمة ، فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه وتوثق له . وكان أول من تكلم ( ابن هشام ١ / ٤٤١ ) .

تكلم العباس وشرح للاتصار خطورة المبايعة وقال لهم : فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، وماتعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه ، وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ثم قال : أبايعكم على تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم ، فقال أبو الهيثم بن التيهان : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإن قطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتكم ، وأسالم من سالمكم ( ابن هشام ٢ / ٤٤٢ ) .

ومع ذلك قام رجلان ممن أسلما من قبل ، وشرحا للقوم خطورة البيعة ، واتفق الحضور على بنود المبايعة وهي : السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وعلى أن يقوموا في الله ، لا يأخذهم في الله لومة لائم ، وعلى أن ينصروا رسوله ويمنعوه ، ولهم الجنة .

وبايع الرجال رجلا رجلا بالمصافحة وبايعت المرأتان بالقول .

وبعد تمام البيعة انتخب المسلمون اثني عشر نقيبا ، يتولون مسئولية تنفيذ بنود البيعة ، فتم انتخاب اثني عشر رجلا ، تسعة من الخزرج وثلاث الأوس وهم :



- \*أسعد بن زرارة .
- \*سعد بن الربيع .
- \*عبد الله بن رواحة .
- \*رافع بن مالك .
- \*البراء بن معرور .
- \*عبد الله بن عمرو .
- \*عبادة بن الصامت .
- \*سعد بن عبادة .
- \*المنذر بن عمرو .
- \*أسيد بن حضير .
- \*سعد بن خيثمة .
- \*رفاعة بن عبد المنذر .

وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، قالوا نعم ( ابن هشام ١ / ٤٤٦ ) .

علمت قريش بأمر البيعة ، ولكنهم لم يتمكنوا من تحديد رموزها ، فجاءوا إلى سادات يثرب ، ومنهم عبد الله بن أبي بن سلول وكان لا يعرف شيئا عن أمر البيعة ، فقالوا : يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وأنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول : هذا باطل ، وما كان هذا وما كان قومي ليفتاتوا على مثل هذا لو كنت بيثرب ماصنع قومي هذا حتى يؤامروني ، ولأذ المسلمون بالصمت .

وتأكدت قريش من البيعة بعد انتهاء موسم الحج وعودة الحجيج ، فأرسلوا ممن يتعقب المسلمين ، فلم يظفروا إلا بسعد بن عبادة ، فحملوه إلى مكة وآذوه حتى خلصه المطعم بن عدي والحارث بن حرب من أيديهم

هكذا أصبح للمسلمين دار أمن وأمان في يثرب ، وأخذ عدد من المسلمين يتزايدون يوما بعد يوم حتى صارت يثرب جاضرة للدولة الإسلامية الوليدة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها مع صحابته من المسلمين .

التراب ، وانطلق لحاجته ، قالوا والله ما أبصرناه ، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، ولكنهم لم يبرحوا مكثهم حتى أصبحوا ، وقام على من فرأشيه ، فأدركوا أنهم فشلوا وقالوا لعلي رضي الله عنه : أين محمد ؟ فقال : لا علم لي به .

## في غار ثور

قبل أن يطلع فجر السابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من دار أبي بكر من باب خلفي ، وخرجا من مكة في اتجاه الجنوب ، وسارا خمسة أميال ، حتى بلغا جبل ثور ، وهو جبل عال وعر صعب المرتقى ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمشي حافيا على أطراف أصابع قدميه كي يخفي أثره ، وظلا يرتقيان الجبل حتى وصلا إلى قمته ، واختفيا بغار في أعلاه .

دخل أبو بكر الغار أولا وقام بتسويته وتنظيفه وسد شقوقه ببعض من إزاره وبقي شقان لم يستطيع سدهما ، فوضع قدميه عليهما ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار .

نام النبي صلى الله عليه وسلم في حجر أبي بكر ، ولدغ أبو بكر في قدمه من الجحر ، فلم يتحرك مخافة إيقاظ النبي صلى الله عليه وسلم ، ودمعت عيناه فسقطت دموعه على وجه النبي صلى الله عليه وسلم ، فانتبه النبي وقال له : مالك يا أبا بكر ، قال له : لدغت فداك أبي وأمي ، فتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده (مشكاة المصابيح ٥٥٦ / ٢) .

ظل المشركون ليلتهم يتسامرون وينتظرون ساعة الغدر ، وهم ينظرون إلى فراشه صلى الله عليه وسلم ، فيرونه نائما ، فينتظرون الأمر بالهجوم عليه وقتله .

قال تعالى : وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ( الأنفال - ٣٠ ) وهذا ما حدث بالفعل في تلك الليلة ولكن الله غالب أمره .

### خروج الرسول صلى الله عليه وسلم

في تلك الليلة طلب النبي صلى الله عليه وسلم من علي بن أبي طالب بالنوم في فراشه ، وأن يرتدي بردته الحضرمية الخضراء وقال له : لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ( ابن هشام ١ / ٤٨٢ ) .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مخترقا صفوف المشركين نائرا على رؤوسهم حفنة من التراب ، وقد أخذ الله بأبصارهم فلا يرونه ، وكان يتلو قوله تعالى : وجعلنا من بين أيديهم سدا ، ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ( يس - ٩ ) .

توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر ، فخرجا ليلا وتوجها إلى غار ثور باتجاه الجنوب عكس الطريق المؤدى إلى يثرب .

وبعد أن وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى مأمن ، مر رجل بالقوم المحاصرين لبيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : ماتتظرون ؟ قالوا : محمدا ، قال لهم : خبتم وخسرتم قد والله مربكم ، وذر على رؤوسكم

## المشركون حول بيت الرسول

بدأ المشركون في تنفيذ المؤامرة التي اتفقوا عليها في دار الندوة ،  
واختاروا لتنفيذها أحد عشر رجلا من رجالهم الأشداء وهم :

- أبوجهل بن هشام .
- الحكم بن العاص .
- عقبة بن أبي معيط .
- النضر بن الحارث .
- أمية بن خلف .
- زمعة بن الأسود .
- طعيمة بن عدي .
- أبولهب .
- أبي بن خلف .
- نبيه بن الحجاج .
- منبه بن الحجاج . ( زاد المعاد ٢ / ٥٢ ) .

اجتمع القوم على باب بيت النبي صلى الله عليه وسلم يرصدونه متى نام ،  
فيثبون عليه ، ويقتلونه .

وقف أبو جهل يخاطب المؤتمرين في زهو وغبطة قائلا : إن محمدا يزعم  
أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ،  
فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد  
موتكم ، ثم جعلت لكم نارا تحرقون فيها ( زاد المعاد ١ / ٤٨٣ ) .

قال إبليس ( الشيخ النجدي ) : القول ما قال الرجل ، هذه الراى لاأرى غيره ، ووافق برلمان مكة على الاقتراح الآثم بالاجماع ، ورجع النواب إلى بيوتهم ، وقد صمموا على تنفيذ هذا القرار فورا (ابن هشام ١ / ٤٨٠ - ٤٨٢) .

## الأمر بالهجرة

اتخذ المجرمون قرارهم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يستعدون لتنفيذه في أقرب فرصة ، وأخبر جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم بمؤامرة قريش ، وأن الله قد أذن له بالهجرة ، وحدد له وقد الهجرة ، وطالبه بالمبيت في فراشه في تلك الليلة .

أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أبابكر بموعد الرحيل ، قالت أم المؤمنين عائشة : بينما نحن جلوس في بيت أبى بكر في نحر الظهيرة ، قال قائل لأبى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقتعا ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبوبكر : فداء له أبى وأمى ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر .

وقالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اخرج من عندك ، فقال أبوبكر : إنما هم أهلك ، بأبى أنت يا رسول الله ، فقال : فاني أذن لي في الخروج ، فقال أبوبكر : الصحبة بأبى أنت يا رسول الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ( صحيح البخارى ١ / ٥٥٣ ) .

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر الليل ، ويخبر على بن أبى طالب بخطته .

- \* النضر بن الحارث من بنى عبد الدار .
- أبو البختری بن هشام من بنى عبد أسد .
- زمعة بن الأسود من بنى أسد .
- حكيم بن حزام من بنى عبد أسد .
- نبيه ومنبه ابنا الحجاج من بنى سهم .
- أمية بن خلف من بنى جمح .
- إبليس اللعين في صورة شيخ نجدي .

وفي الاجتماع طال النقاش ، ومما قيل في هذا الاجتماع ، قال أبو الأسود : نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا ، ولابالى أين يذهب ولاحيث وقع ، فقد أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت .

فقال إبليس اللعين : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقته ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، ثم يسير بهم إليكم - بعد أن يتابعوه - حتى يطاكم بهم فى بلادكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، ويروا فيه رأيا غير هذا .

فقال أبو البختری : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله - زهير والنابغة - ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم

فقال الشيخ النجدي : ما هذا لكم برأى فاتظروا غيره .

فقال أبو جهل : والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه بين القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم .

كان المسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة قد عادوا إلى يثرب ، وكان أبوبكر قد تجهز للهجرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رسلك ، فاتى أرجو أن يؤذن لى ، فقال له أبوبكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : نعم فحبس أبوبكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - أربعة أشهر ( صحيح البخارى ١ / ٥٥٣ ).

## المشركون يأتَمرون فى دار الندوة

لم يدرك سادة قريش الخطب الجلل إلا بعد أن رأوا المسلمين ينسلون من بين أيديهم ، ويفرون فرادى وجماعات حاملين أولادهم ونساءهم إلى يثرب ، ووجدوا هناك كل ترحاب وحفاوة

كان تواجد المسلمين فى يثرب وتكاثرهم يوما بعد يوم يهدد كيان قريش السياسى والاقتصادى ، فقد كانت يثرب تقع على طريق التجارة التى تمثل أهم العناصر التى أسهمت فى بناء كيان قريش ، كما أن تحول يثرب إلى مركز دينى سيؤثر سلبا على مكانة مكة ومن هنا أدرك القرشيون ما يهدد مكانتهم الدينية والسياسية والاقتصادية .

وإذا كانوا لم يفلحوا فى منع المسلمين من الهجرة إلى يثرب ، إلا أن رسولهم لا يزال بين ظهرائهم ، ولهذا اجتمعوا فى دار الندوة للنظر فى الأمر وحضر الاجتماع كل من :

- أبوجهل بن هشام المخزومى .
- جبير بن مطعم من بنى نوفل .
- طعيمة بن عدى من بنى نوفل .
- الحارث بن عامر من بنى نوفل .
- شيبه وعتبة ابنا ربيعة من بنى عبد شمس .
- أبوسفیان بن حرب من بنى عبد شمس .

• عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي بن وائل ، فقد تواعدوا على الهجرة سويا ، فاجتمع عمر وعياش وحبس عنهما هشام ، وعندما وصلا إلى يثرب ، ونزلا بقباء ، وقدم أبوجهل أخوه الحارث إلى عياش وكانت أم الثلاثة واحدة ، فقالا له : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط ، ولا تستظل لشمس حتى تراك ، فرق لها ، فقال له عمر : يا عياش إنه والله إن يريك القوم إلا ليفتنوك عن دينك ، فاحذرهم فو الله لو آذى أمك القمل لا متشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت ، فأبى عياش إلا الخروج معهما ليبر قسم أمه ، فقال له عمر : خذ ناقتي هذه فإنها نجيبة نلول ، فالزم ظهرها فإن رابك ريب فاتج عليها ، فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبوجهل : يا ابن أخي ، والله لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى ، فاناخ واناخا ليتحول عليها ، فلما استنوا بالأرض ، عدوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلاه مكة نهرا موثقا ، وقالوا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهانكم ، كما فعلنا بسفهيها هذا .

وبقى هشام وعياش في قيد الكفار حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يوما : من لى بعياش وهشام ؟ فقال الوليد بن الوليد : أنا لك يا رسول الله بهما ، فقدم الوليد مكة مستخفيا ، ولقى امرأة تحمل إليهما طعاما فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكاتا محبوسين في بيت لاسقف له ، فلما أمسى تسور الجدار ، وقطع قيدهما وحملهما على بعيرة حتى قدم إلى المدينة ( ابن هشام ٤٧٤-٤٧٦ ) .

وكان مع عمر بن الخطاب خلال هجرته عشرون من الصحابة ، وكانت هجرته بعد شهرين وبضعة أيام من بيعة العقبة الكبرى .

هاجر أكثر المسلمين من مكة ولم يبق فيها إلا من احتبس المشركون كرها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالهجرة ، لذا بقي في مكة ومعه أبوبكر وعلي بن أبي طالب ، وأخذ يعد العدة ويجهز جهازه للرحلة .



## طلّاع الهجرة

أذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة من مكة إلى يثرب بعد بيعة العقبة الثانية ، وبعد أن أصبحت يثرب تحتضن عددا كبيرا من المسلمين .

لم تكن الهجرة سهلة وميسورة ، فقد كان المسلمون يهربون بأنفسهم وبدينهم سرا وليلا وخوفا من تعقب كفار قريش ، وكانت الهجرة تضحية بالأموال والمصالح والأهل والأقارب والأصدقاء ، وكانوا يفرون إلى موطن جديد لا يعرفون ماذا سيحدث لهم إن وصلوا إليه .

استطاع المسلمون الفارون من مكة أن يقيموا مجتمعا جديدا قائما على المحبة والتآخي ومن أوائل المهاجرين :

- أبوسلمة الذي هاجر قبل العقبة الكبرى بسنة ، وعندما أراد الهجرة ، رفض أصهاره هجرة زوجته أم سلمة معه ، ونزع أهل أبي سلمة ابنها منها بالقوة فخلعوا يده وذهبوا به ، واضطر أبوسلمة إلى الهجرة وحيدا .

- \* أم سلمة وابنها : كانت أم سلمة بعد فراق زوجها ، تبكي بكاء مرا حتى رق لها أهلها فقالوا لها : إلحي بزوجه إن شئت بعد عام من هجرته ، فأخذت ابنها من أهل زوجها ، وهاجرت ، وبعد خروجها من مكة وحيدة وجدها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، فعرف بحالها ، فقام بحملها إلى يثرب ، وعندما وصلها أشار إلى قباء وقال لها : زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله ثم عاد إلى مكة ( ابن هشام ١ - ٤٦٨ - ٤٧٠ ) .

- صهيب الرومي : أراد الهجرة فقالوا له : أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثير مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك ، فقال لهم : رأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم ، قال : فبأني قد جعلت لكم مالي ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب ( ابن هشام ١ / ٤٧٧ ) .

## الإسراء والمعراج

كان إسراء النبي صلى الله عليه وسلم ومعرجه بشارة له ، وتثبيتاً للمؤمنين في الأرض ، ففي ظل هذه العذابات جاء الإسراء والمعراج ، فقد أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، وعرج به من بيت المقدس إلى سدره المنتهى .

وفي هذه الرحلة يتأكد لنا قيادة الأمة الإسلامية للإنسانية جمعاء وتنتقل فيها القيادة الروحية من اليهود إلى المسلمين ، وقد ظلت هذه الزعامة في اليهود عدة قرون ، فغدروا وخانوا وارتكبوا الإثم والعدوان ، والآن انتقلت هذه القيادة إلى أمة الإسلام ، وأصبح قائدها محمد صلى الله عليه وسلم إماماً للأنبياء والمرسلين .

لم تكن رحلة الإسراء والمعراج مجرد تسرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل كانت لفرض الفروض وإقرار الصلة الدائمة بين المؤمنين وخالقهم وهي فرض الصلاة ، وهي الهدية التي قدمها الحق سبحانه وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لتكون صلة دائمة بين الله وعباده المخلصين .

كانت رحلة الإسراء والمعراج هجرة إلى الله بالجسد والروح لتتهيء الأمة للهجرة من مكان إلى مكان آخر ، من مكة إلى يثرب ، فحياة الإنسان هي رحلة في الزمان والمكان ، وسعيد من أدرك كنه الحياة ومغزاها .

رأى النبي صلى الله عليه وسلم آيات كبرى في تلك الليلة ليكون من الموقنين قال تعالى : سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه عو السميع البصير ( الإسراء - ١ ) وقال تعالى : لقد رأى من آيات ربه الكبرى ( النجم - ١٨ ) .

• كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لقريش : قولوا لا إله إلا الله  
تفلحوا وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم العجم ، فإذا متم كنتم ملوكا في  
الجنة ، كان يطلب منهم كلمة لا إله إلا الله والتي بها يتحقق لهم السيادة  
في الدنيا والنعيم في الآخرة ، وهذه بشارة للمؤمنين .

\* قال خباب بن الأرت : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد  
بردة ، وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ،  
فقد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون  
عظامه من لحم وعصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر  
حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله ولكنكم تستعجلون ( صحيح البخاري ١ / ٥٤٣ ) .

كان المشركون يعرفون هذه البشارات ، ولكنهم كانوا يتغامزون إذا مروا  
ورأوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : قد جاءكم ملوك  
الأرض ، سيغلبون على ملوك كسرى وقيصر ثم يصفرون ويصفقون .

أليس هذا وعد من الله بنصر المؤمنين في كل مكان وفي كل زمان ! فلماذا  
نبحث عن النصر عند أعداء الله ؟ ألم يتحقق وعد الله لنبيه وللمؤمنين فلماذا  
لا نؤمن بما آمن به هؤلاء ، ونستوثق من نصر الله لأمة محمد صلى الله عليه  
وسلم ؟ لقد كان الفرس والروم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم  
لا يقلان قوة بمقياس عصرهم عن قوة أمريكا وأوروبا بمقياس عصرنا ، ومع  
ذلك هزمهما المسلمون المؤمنون .

## الروضة السادسة

### الهجرة

من الأمور التي يستوجب علينا الوقوف عندها في الفترة المكية هي تلك البشارات التي كانت تحدث للمسلمين ، وهم في أحلك المواقف وأشدّها ، وكلما اشتدّ عليهم البلاء ، كانت البشرى تأتيهم تباعا للصبر والثبات .

#### البشارات

كان القرآن يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيزيد المؤمنين إيمانا ويقوى عزيمتهم ، ويساندهم في الوقوف ضد المشركين ، ومواجهة المعاندين ومن هذه البشارات :

- قال تعالى : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون ( الصافات - ١٧١ - ١٧٣ ) .
- وقال تعالى : سيهزم الجمع ويولون الدبر ( القمر - ٤٥ ) .

- وفي الذين هاجروا إلى الحبشة نزل قوله تعالى : والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ( النحل - ٤١ ) .

- وعندما كان الصراع محتدما بين الفرس والروم ، وكانت الغلبة للفرس ، أنزل الله بشارة غلبة الروم في بضع سنين ، وهي بشارة للمؤمنين حيث قال تعالى : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ( الروم ٤ - ٥ ) .

مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق ثلاث ليال في الغار وهي ليلة الجمعة والسبت والأحد (فتح الباري ٣٣٦ / ٧) قالت عائشة رضي الله عنها عن أخيها عبد الله كان يذهب إليهما في الغار، ويبيت معهما : وهو غلام شاب ثقف لقن ، فبدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبانت ، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم ، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما - حتى ينق بهما عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ، وكان عامر يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفى عليه (ابن هشام ٤٨٦ / ١).

في الوقت الذي أصبح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار ، وأدرك كفار قريش بخيبة أملهم ، أخذوا عليا وضربوه وحبسوه ، ولم يعرفوا منه شيئا ، فتوجهوا إلى بيت أبي بكر ، وسألوا أسماء بنت أبي بكر أين أبوك؟ قالت : لا أدري والله أين أبي ؟ فلطمها أبوجهل لطمه طرح منها قرطها (ابن هشام ٤٨٧ / ١).

واشدت قريش بكل مالديها من وسائل للقبض على النبي صلى الله عليه وسلم حيا أو ميتا ، وأقامت حراسة على الطرق المؤدية إلى مكة والخارجة منها ، وقررت منح مكافأة قدرها مائة ناقة لمن يأتي بمحمد وصاحبه .

واصل الفرسان والمجدون في البحث والمطاردون سعيهم ، ووصل بعضهم إلى باب الغار ، يقول أبو بكر : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : ياتبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا ، قال : اسكت يا أبا بكر ، اثنان الله ثالثهما ، وفي لفظ : ماظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما (صحيح البخاري ٥٥٨ / ١).

وعاد المطاردون ، ونجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، وكاتا على بعد خطوات منهما .

## من مكة الى يثرب

بعد ثلاثة أيام من السعى والبحث هدأت فرق البحث والمطاردة وينست من العثور على النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من غاره وبدأ رحلة السفر .

كان أبو بكر قد أعد راحلتين ، ودفع بهما إلى عبد الله بن أريقط ، وكان خبيرا بالطريق - وكان لا يزال على دين قريش - وبعد ثلاث ليال جاءهما إلى الغار في غرة ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة النبوية الشريفة ، وحملهما وبدأ رحلة الهجرة .

أتت أسماء بنت أبي بكر إليهما وأتتهما سفرتهم ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما أرتحلا ، ذهبت لتعلق السفارة فإذا ليس لها عصام ، فشقت نطاقها ، وعلقت السفارة بواحد وأنتطقت بالآخر ، فسميت بذات النطاقين ( صحيح البخاري ٥٥٥ / ١ ) .

سار النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط صوب المدينة عن طريق الساحل وهو طريق لم يكن يألفه القوم ولا يسلكونه إلا قليلا .

يقول ابن اسحق ( ٤٩٢ / ١ ) : لما خرج بهما الدليل سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمج ، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرار ، ثم سلك بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا ، ثم أجاز بهما مدلجة لقف ، ثم استبطن بهما مدلجة مجاح ، ثم

سلك بهما مرجح محاج ، ثم تبطن بهما مرجح ذى الغضوين ، ثم بطن ذى كشر ، ثم أخذ بهما على الجدادج ، ثم على الأجرد ، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن ، ثم على العبابيد ، ثم أجاز بهما الفاجدة ، ثم هبط بهما العرج ، ثم سلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة حتى هبط بهما بطن رنم ، ثم قدم بهما على قباء ، على مشارف يثرب .

### قصة سراقه بن مالك

كان سراقه بن مالك بن جشعم ، قد علم بما قرره قريش للقبض على محمد صلى الله عليه وسلم ، وبينما هو جالس فى مجلس قومه بنى مدلج أقبل رجل عليهم وهم جلوس ، فقال : ياسراقه ، إني رأيت آتفا أسودة بالساحل ، أراها محمدا وأصحابه وقال سراقه : فعرفت أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبث فى المجلس ساعة ، ويحكى سراقه القصة قائلا : ثم قمت فدخلت ، فأمرت جاريتى أن تخرج فرسى ، وهى من وراء أكمة ، فتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزجة الأرض ، وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسى ، فركبتها وفعرتها تقرب بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى فخررت عنها ، ففقت ، فأهويت يدى إلى كنائتى ، فاستخرت منها الأزلام ، فاستقسمت بها ، أضرهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى ، وعصيت الأزلام ، وتقرب بى ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات - ساخت بدا فرسى فى الأرض ، حتى بلغنا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لآثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام و فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جنتهم ، ووقع فى نفسى شيء حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت

عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأتى ، ولم يسألانى إلا أن قال : أخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب لي فى رقعة من آدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح البخارى ١ / ٥٥٤) .

وعاد سرافة وعمل على إبعاد وتضليل القوم للوصول اليهم ، وكان حارسا عليهم ليلا .

### قصة أم معبد

وفى الطريق كانت خيمة أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة تختبىء بفناء الخيمة ، ثم تطعم وتسقى من مربها ، فسألاها : هل عندها شيء ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى والشاء عازب ، وكانت سنة شهباء .

ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كسر الخيمة : فقال : ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك ، فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبي وأمى إن رأيت بها حلبا فاحلبها ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ضرعها ، وسمى الله ودعا ، فتفاجت عليه ودرت ، فدعا بآباء لها يربض الرهط ، فحلب فيه حتى علت الرغوة ، فسقاها ، فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب وحلب فيه ثانيا ، حتى ملأ الإباء ، ثم غادره عندها فارتحلوا .

فلما جاء أبو معبد يسوق أعنزا عجافا ، فلما رأى اللبن عجب ، فقال : من أين لك هذا ؟ والشاة عازب ، ولاحلوبة فى البيت ؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، ومن حاله كذا وكذا ، قال : إني والله أراه صاحب قريش الذى تطلبه ، صفيه لي يا أم معبد ، فوصفته بصفاته وصفا جميلا ، قالت : ظاهر الوضاعة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبته تجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دمع ، وفى أشقاره وطف ، وفى صوته صحل ، وفى عنقه سطع ، أحور ، أكحل ، أزج ، أقرن ، شديد سواد الشعر ، إذا صمت علاه



الوقار ، وإن تكلم علاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فضل ، لا تزر ، ولا هذر ، كأن منطقة خرزات نظمن يتحدثون ربعة ، ولا تقحمه عين من قصر ، ولا تشنؤه من طول ، غصن بين غصنين ، فهو أنظر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود لاعابس ولا مفند ( زاد المعاد ٥٤ / ٢ ) فقد وصفته بأنه لا يعيبه التجلة أى ضخامة بدن ولا صعلة أى صغر رأس ، وهو حسن جميل فى عينيه دعج أى سواد العينين ، وفى أشفاره وطف أى فى شعر أجفانه طول ، وفى صوته صحل أى بحة وخشونة ، وفى عنقه سطع أى طول ، أزج أى ذو جاجب رقيق فى الطول ، لا تزر ولا هذر أى وسط لا قليل ولا كثير ، محفود أى يخدمه أصحابه ويعظمونه ، والمحشود أى الذى يحتشد له القوم ويتجمعون حوله ، ولا مفند أى لا يفند أحدا أى لا يهجنه ويستقل عقله .

وحين سمع أبو معبد وصف أم معبد قال : والله هذا صاحب قریش الذى نكروا من أمره ماذكروا ، لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، وأصبح يتردد بمكة هذه الأبيات التى قالت أسماء : مادرينا أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، فأنشد هذه الأبيات ، والناس يتبعونه ويسمعون صوته ولا يرونه حتى خرج من أعلاها ( زاد المعاد ٥٣ / ٢ - ٥٤ ) وهذه الأبيات هى :

جزى الله رب العرش خير جزائه . . . رفيقين حلا خيمتي أم معبد  
هما نزلا بالبر وارتحلا به . . . وأفلح من أمسى رفيق محمد  
فياقصى ماروى الله عنكم . . . به من فعال لا يحاذى وسودد  
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم . . . ومقعدا للمؤمنين بمرصد  
سلوا أختكم عن شأنها وإنانها . . . فبانكم إن تسألوا الشاة تشهد

## وقائع في الطريق

وخلال الرحلة من مكة إلى المدينة المنورة وقعت عدة وقائع منها :

• قال الصديق رضى الله عنه وأرضاه : أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة ، وخلا الطريق ، لا يمر فيه أحد ، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليها الشمس ، فنزلنا عنده ، وسويت للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا بيدي ، ينام عليه ، وبسطت عليه فروة ، وقلت : نم يا رسول الله ، وأنا أنفض لك ماحولك ، فنام ، وخرجت أنفض ماحوله ، فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة ، يريد منها مثل الذى أردنا ، فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجل من أهل المدينة أومكة ، قلت : أفى غنمك لبن ؟ قال : نعم ، قلت أفتحلب ؟ قال : نعم ، فأخذ شاة ، فقلت : أنفض الضرع من التراب والشعر والقذى ، فحلب فى كعب كثبة من لبن ، ومعى إداوة حملتها للنبي صلى الله عليه وسلم ، يرتوى منها ، ما يشرب ويتوضأ ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فكرهت أن أوقظه ، فوافقته حين استيقظ ، فصببت من الماء على لبن حتى برد أسفله ، فقلت : أشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رضيت ، ثم قال : ألم ينن الرحيل ؟ قلت بلى ، قال : فارتحلنا ، ( صحيح البخارى ١ / ٥١٠ ) .

\* كان أبو بريده رئيس قومه ، وقد خرج ساعيا فى طلب النبي صلى الله عليه وسلم آملا الفوز بالمكافأة ، ولما لقي النبي صلى الله عليه وسلم أسلم ، وأسلم معه سبعون رجلا من قومه ، ثم نزع عمامته وعقدها برمحه فاتخذها راية تعلن بأن ملك الأمن والسلام قد جاء ليملا الدنيا عدلا وقسطا ( الحيق المختوم ١٤٥ ) .

\* ولقى النبي صلى الله عليه وسلم الزبير ، وهو فى ركب من المسلمين كانوا قادمين من الشام ، فكسا الزبير النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق ثيابا بيضاء ( صحيح البخارى ١ / ٥٥٤ ) .

## الرسول صلى الله عليه وسلم فى قباء

كان المسلمون يتجمعون غداة كل يوم فى الحرة ينتظرا لقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عروة بن الزبير : سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكاتوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم ، فلما أوا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته ، هذا جدكم الذى تنظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح ( صحيح البخارى ١ / ٥٥٥ ) .

وقال عروة : فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعدل بهم ذات اليمين ، حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى ( يجىء ) أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ( صحيح البخارى ١ / ٥٥٥ ) .

كان المسلمون قد استقبلوا النبي صلى الله عليه وسلم بالتهليل والتكبير ، وأحاطوا به وبصحابه حتى نزل فى قباء على كلثوم بن الهدم ، فأقام هناك أربعة أيام ، ووضع أساس مسجد قباء ، وصلى فيه ، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة .

وفى اليوم الخامس من وصوله إلى هذا الموضع ، وفى يوم الجمعة ، ركب بأمر الله له ، وأبو بكر ردفه ، وأرسل إلى بنى النجار وهم أخواله ، فجاءوا إليه متقلدين السيوف ، فسار إلى المدينة ، وصلى الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى مائة رجل . ( ابن هشام ١ / ٤٩٤ ) .

فى ذلك الوقت كان على بن أبى طالب لايزال فى مكة ، حتى أدى الودائع التى كانت عند رسول الله لأهلها ، ثم هاجر بعد ثلاثة أيام ، فلقق بالنبى صلى الله عليه وسلم فى قباء كلثوم بن الهدم .

## الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة

دخل النبى صلى الله عليه وسلم يثرب يوم الجمعة ، وسميت يثرب منذ ذلك اليوم بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستقبله الرجال والنساء بالتكبير والتهليل والتحميد والتقديس وغنت بنات الأنصار :

أشرق البدر علينا ... من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ... مادعا لله داع  
أيها المبعوث فينا ... جنت بالأمر المطاع

كان الأنصار يسارعون إلى أخذ خطام الناقة التى يركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدعونه للنزول عنده ، فكان يقول لهم : خلوا سبيلها فاتها مأمورة ، فلم تزل الناقة تسير حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوى الحالى فبركت ، ولم ينزل عنا حتى نهضت وسارت قليلا ، ثم التفتت ورجعت فبركت فى موضعها الأول ، فنزل عنها ، وكان هذا المكان موضع منازل بنى النجار أخواله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يكرم أخواله بنزوله عليهم ، فأسرع أبو أيوب الأنصارى إلى رحله ، فأدخله فى بيته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع رحله ( زاد المعاد ٢ / ٥٥ ) .

قالت عائشة رضى الله عنها وأرضاها : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وعك أبوبكر وبلال ، فدخلت عليهما فقلت : يا أبه كيف تجدك ويابلل كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبوبكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل أمرىء مصبح فى أهله . . . . . والموت أدنى من شركك نعله

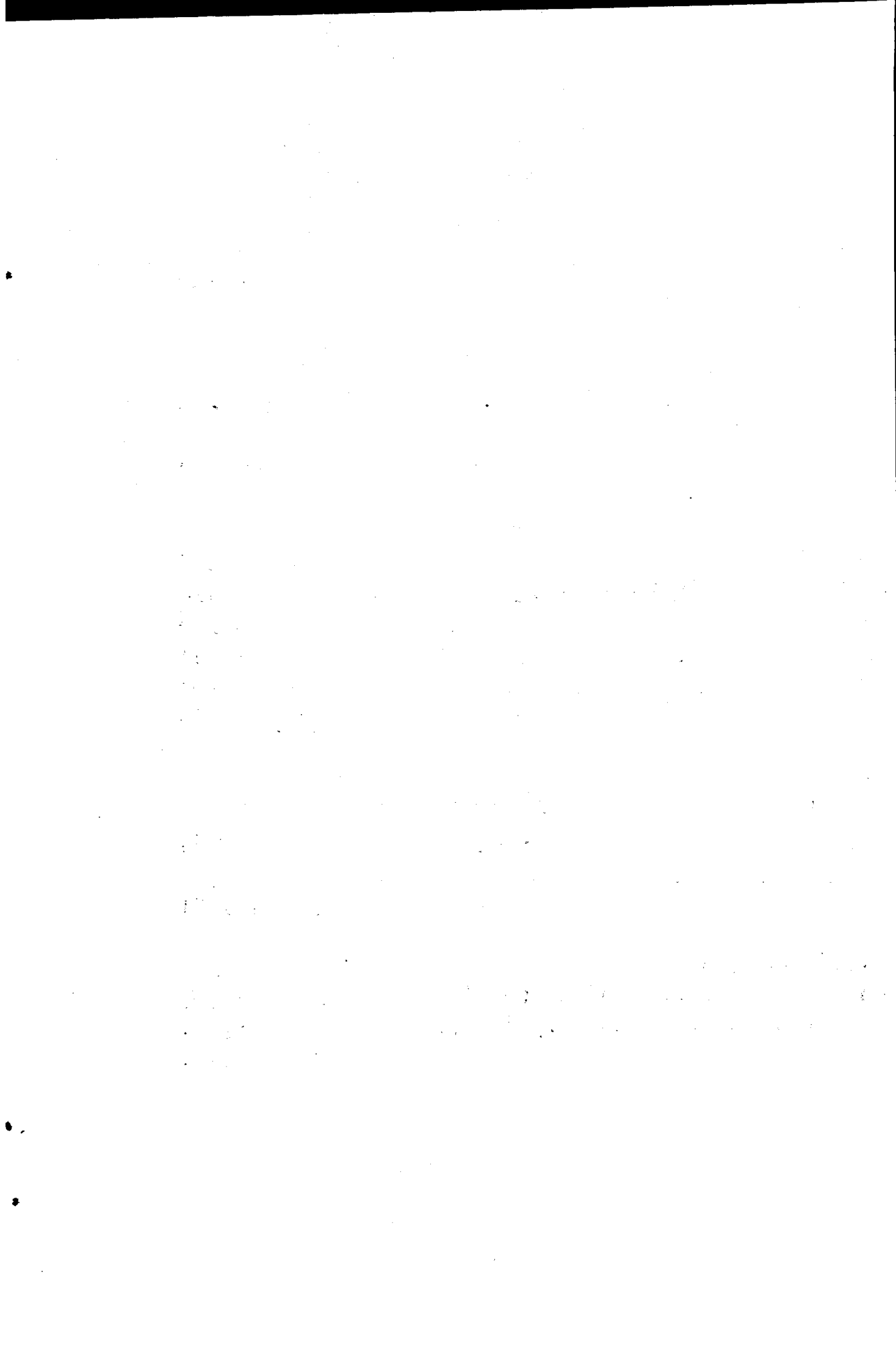
وكان بلال إذا ألقى عنه ، يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبين ليلة . . . . . بواد وحولى أنخر وجليل  
وهل أردن يوما مياه مجنة . . . . . وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال :  
اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد حبا ، وصححها ، وبارك فى صاعها  
ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة ( صحيح البخارى ١ / ٥٨٨ - ٥٨٩ ) .

وبعد أيام وصلت زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة سودة رضى  
الله عنها وأرضاها ، وبنتاه فاطمة وأم كلثوم ، وأسامة بن زيد ، وأم أيمن ،  
وكان عبد الله بن أبى بكر قد خرج بهم من مكة مع عيال أبى بكر ومنهم عائشة  
، ولم يبق بمكة سوى زينب عند أبى العاص والتي لم تهجر إلا بعد بدر ( صحيح البخارى ١ / ٥٥٦ ) .

هكذا وصل النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، وبدأ طور  
جديد فى الدعوة الإسلامية ، ولم تنته بعد استقرايات الكفار والمشركين ،  
وسعيهم لملاحقة الدين الجديد والتحالف مع اليهود ، ولكن الله غالب أمره ،  
والطور المدنى سيكون لي معه وقفة فى كتاب آخر لأن هذا الكتاب يختص بالطور  
المكى فقط ، ولذلك ستكون روضتنا السابعة أيضا فى مكة حيث يتحقق النصر  
المؤزر وتفتح مكة أبوابها لاستقبال المسلمين الذين فروا منها من قبل ، وبعد أن  
يقتل أعمدة الكفر ويدخل الباقون فى الإسلام جماعات ويتحقق وعد الله لنبيه  
والمؤمنين .



## الروضة السابعة

### النصر المبين

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، لم يتوقف المشركون عن ملاحقة المسلمين ، والضغط على الذين لم يهاجروا بعد ، ثم بدأوا يتصلون بيهود المدينة للقضاء على الدعوة الإسلامية .

كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان زعيما في قومه بل كادوا أن يتخذوه ملكا لولا هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : إنكم أويتم صاحبنا ، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه ، أو لتسيرن إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول جمع جمعا وأراد مقاتلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم ، فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا ( صحيح البخاري ٦٥٤/٢ - ٦٥٦ ) .

ولم يتمكن ابن سلول من إشعال نار الفتنة بسبب حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقاعس اليهود في معاونته .

### مع سعد بن معاذ

ذهب سعد بن معاذ إلى مكة معتمرا ، ونزل عند أمية بن خلف ، وخلال طوافه بالبيت الحرام ، تلقاه أبو جهل فقال له : يا أبا صفوان ( يقصد أمية ) من هذا معك ؟

فقال : هذا سعد ، فقال أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة أمنا ، وقد أويتم الصبابة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم ، وتعينونهم ، أما والله لنن منعتني هذا لأمنك ما هو أشد عليك منه ، طريقك على أهل المدينة ( صحيح البخاري ٥٦٣ / ٢ ) .

كانت قريش تتوعد المسلمين وترسل لهم التهديدات من وقت لآخر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، لا ينام إلا في حراسة من المسلمين حتى نزل قول الحق سبحانه وتعالى : والله يعصمك من الناس ) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل ( الترمذي ١٣٠ / ٢ ) .

## الإذن بالقتال

لم يكن الإذن بالقتال قد نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد تمادي قريش في العداء للمسلمين وتحالفهم مع اليهود والمشركين وزاد النشاط العسكري الموجه ضد المسلمين ، نزل قوله تعالى : أن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير (الحج ٣٩) .

## المناوشات بين المسلمين وكفار قريش

وقعت عدة مناوشات بين المسلمين وكفار قريش منها :

- \* - بين حمزة بن عبد المطلب وثلاثين رجلا من المسلمين مع أبي جهل بن هشام وثلاثمائة رجل ، ولم يقع قتال بسبب تدخل ابن عمرو الجهني .
- \* - بين عبدة بن الحارث بن المطلب وستين رجلا من المسلمين مع أبي سفيان ومائتين في بطن رابغ ، وحدث ترامي بالنبال .

\* - بين سعد بن أبي وقاص وعشرين رجلا مع عير من قريش في منطقة الخرار .

\* - بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبعين رجلا وعير لقريش في ودان ، وفي هذه الواقعة عقد النبي صلى الله عليه وسلم حلفا مع عمرو الضمري سيد بني ضمرة .

\* - مناوشات في بواط وسفوان وذئ العشيرة ونخلة .



توالى نزول الآيات التي تدعوا للقتال وصد الأعداء منها قوله تعالى :  
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ،  
واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ،  
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم ، كذلك جزاء  
الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون  
الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين (البقرة / ١٩٠ - ١٩٣) .

وقال تعالى : فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا اثخنتموهم فشدوا  
الوثاق ، فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله  
لانتصر منهم ، ولكن ليبلوا بعضكم ببعض ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل  
أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ، يا أيها الذين آمنوا  
إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (محمد - ٤ - ٧) .

## غزوة بدر

تحولت المناوشات بين المسلمين وكفار قريش إلى حرب وقتال ، فقد أراد  
المسلمون اعتراض عير قريش التي كان على رأسها أبو سفيان بن حرب ، ولكن  
القافلة استطاعت الإفلات ، وكان المسلمون في جيش المدينة آنذاك ثلاثمائة  
وبضعة عشر

رجلا ، وتخلف بعض الصحابة عن هذه الغزوة لأن النبي صلى الله عليه  
وسلم جعل الخروج آنذاك لاعتراض القافلة اختياريا ، ولم يكن المسلمون  
يستعدون بكامل معداتهم فليس معهم سوى فرسين للزبير بن العوام والمقداد بن  
الأسود ، وسبعين بعيرا يتعقب الرجال والثلاثة على بعير واحد ، وكان النبي  
صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب ومرثد ابن أبي مرثد الغنوي يتعقبون  
بعيرا واحدا . ومع أن قريش قد علمت بفرار عيرها إلا أنها قررت القتال ، وخرجت  
قريش بألف وثلاثمائة مقاتل ، معهم مائة فرس وستمائة درع وعدد كبير من  
الجمال للركوب والنحر .

واستطاع جيش المسلمين على الرغم من قلة العدد والعدد تحقيق النصر  
وقتل من المشركين سبعون ، وأسر سبعون ، وكانوا جميعا من صناديد قريش ،  
ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من  
الأنصار .

## بين بدر والحد يبية

نظرا لأن هذه الفترة هي فترة مدنية لذا فباني أمر عليها مر الكرام وصولا إلى الفتح المبين لمكة ، فقد وقعت بعد غزوة بدر الكبرى سجلات بين قريش والمسلمين منها غزوة أحد والتي وقعت الهزيمة على المسلمين بعد النصر بسبب مخالفة الرماة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما أدى إلى مباغته خالد بن الوليد - وكان لا يزال على دين قريش - للمسلمين أثناء انشغالهم بجمع الغنائم ، فقتل عدد من المسلمين منهم حمزة بن عبد المطلب مع سبعين من الشهداء أغلبهم من الأنصار .

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عدة سرايا منها سرية أبي سلمة وسرية محمد بن مسلمة ووقعت غزوات منها غزوة بني النضير وغزوة نجد وغزوة دومة الجندل وهر الثانية وبني لحيان ووقعت غزوة الأحزاب وبني قريظة وبني المصطلق المريسيع ثم الحد يبية .

### مقدمات الفتح

راى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا أنه دخل المسجد الحرام ومعه أصحابه ، وأخذ مفتاح الكعبة ، وطاف وطاف معه المسلمون واعتَمروا ، وحلق بعضهم للعمرة ، وقصر بعضهم ، وشاع الخبر بين الصحابة ، ففرحوا ، وحسبوا أنهم دخلوا مكة في عامهم ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بأنه معتمر وأن يتجهزوا .

### التوجه للعمرة

في السنة السادسة للهجرة ، تجمع المسلمون من المدينة وما حولها ، واستعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للعمرة وأخذ معه زوجته أم سلمة ، وكان معه من المسلمين ما بين ألف وأربعمائة وألف وخمسمائة ولم يخرج معه بسلاح إلا سرح المسافرين والسيوف في القر .

وعندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحليفة أحرم للعمرة وأحرم المسلمون ، ليأمن الناس من الحرب ، وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عيونه

ليخبره خبر قريش ، وفي عسفان وصله الخبر أن كعب بن لؤي قد جمعوا الأحابيش ، وجمعوا جموعاً لصد المسلمين عن بيت الله الحرام .

عندما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة سار في طريق وعر ، متحاشياً الطريق الرئيس ، وكان خالد بن الوليد يترصد بالمسلمين ، وعندما رآهم يتحاشون الطريق أسرع بإبلاغ قريش ، ونزل المسلمون بأقصى الحديبية ، وتوسط قوم بينهم وبين المسلمين نصح ومودة .

أرسلت قريش الحليس بن علقمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، واستقبله المسلمون وهم يلبنون فلما رأى ذلك رجع إلى قومه وقال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، وما أرى أن يصدوا .

وأرسلوا عروة بن مسعود الثقفي ، فجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وعاد لقومه يقول لهم : والله لقد وفدت على الملوك ، على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

ومال بعض رؤوس القوم إلى الصلح إلا أن بعضهم تسلل ليلاً إلى معسكر المسلمين لإشعال نار الحرب ، وكانوا ما بين سبعين وثمانين رجلاً ، ولكن المسلمين أسروهم جميعاً ، ورغبة في الصلح أطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراحهم ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم (الفتح ٢٤) .

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى قريش ليؤكد لهم أنه جاء للعمرة وليس للحرب ، وقال له : أخبرهم أنا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عماراً ، وادعهم إلى الإسلام ، وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ، ونساء مؤمنات ، فيبشروهم بالفتح ، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة ، حتى لا يستخفي فيها أحد بالإيمان .

بلغ عثمان بن عفان الرسالة إلى قريش ، ولما فرغ من قوله عرضوا عليه أن يطوف بالبيت ، فرفض أن يطوف حتى يطوف النبي صلى الله عليه وسلم .

حبست قريش عثمان فترة حتى يتشاوروا في الأمر ، فلما تأخر عثمان أشيع بين المسلمين أن قريش قتلت عثمان ، فثار المسلمون ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البيعة على مناجزة القوم وعلى ألا يفروا وبايعته جماعة على الموت ، ولم يتخلف أحد عن البيعة سوى رجل واحد من المنافقين .

كانت هذه هي بيعة الرضوان التي قال فيها الحق سبحانه وتعالى : لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ( الفتح ١٨ - ١٩ ) .

أدركت قريش خطورة الموقف ، فأرسلت سهيل بن عمرو لعقد الصلح ، فتكلم الرجل مع النبي صلى الله عليه وسلم وعرض الصلح وكانت قريش تشترط ألا يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة حتى لا يتحدث العرب أنه دخلها عنوة .

وكانت بنود الاتفاق تتضمن ما يلي :

١ - يرجع النبي صلى الله عليه وسلم من عامه ، فلا يدخل مكة وإذا كان العام القابل لدخولها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا ، معهم سلاح الراكب ، والسيوف في القرب ، ولا تتعرض قريش لهم بأي نوع من أنواع التعرض .

٢ - وضع الحرب بين الطرفين عشر سنوات .

٣ - من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

٤ - من أتى محمدا من قريش من غير إذن وليه - أي هاربا منهم - رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد ، لم يرد عليه .

وكتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا بذلك ، وبعد أن تم الأمر دخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بأن ينحروا ، فما قام واحد ، فأمرهم ثلاثا ، فلما لم يقم منهم أحد ، قام الرسول ودخل على أم سلمة ، فقالت له يا رسول الله : أحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدئك ، و تدعو حالقك فيحلقك ، ففعل ذلك ، فتبعه المسلمون .

كان صلح الحد يبية اعترافا بقوة المسلمين ومكانتهم ، فقد كانت قريش لا تعترف بالمسلمين ، وكان هدف كفار قريش القضاء على المسلمين ولكن بعد صلح الحديبية أترفوا بقوة المسلمين ولذلك عقدوا معاهدة عدم اعتداء لمدة عشر سنوات ، وهذا يعنى عدم تعرضها للمسلمين ، وترك المجال للمسلمين لنشر دينهم دون ملاحقة .

كان الصلح بشارة للمسلمين بالفتح والذي لا بد وأن يقع خلال السنوات القادمة، على الرغم من أن المسلمين أصيبوا بالحزن الشديد لأنهم لم يسمح لهم بالطواف ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قد وعدهم بالظفر فلماذا قبل الصلح؟ لهذا سأل عمر بن الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال له رسول الله : نعم ، قال عمر : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى ، قال عمر : ففيم نعطي الدنيا في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ قال : يا ابن الخطاب إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري ، ولن يضيعني أبدا ، فذهب عمر إلى أبي بكر وقال له مثلما قال لرسول الله فقال له أبو بكر مثلما قال رسول الله ، وأضاف : فاستمسك بغرزه حتى تموت ، فوالله إنه لعلى الحق ، وعندئذ نزل قول الحق سبحانه وتعالى : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ، وأقرأه إياها ، فقال عمر : يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال رسول الله : نعم .

## الأحداث بعد صلح الحديبية

وقعت بعض الأحداث بعد الصلح منها :

\* فرار بعد المسلمين من بين يدي قريش وسعيهم للحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم أبو جندل بن سهيل والذي رده النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش تنفيذا لبنود الاتفاق ، وانفلت أيضا من قريش أبو بصير ، وأرسلت إليه قريش ، فردده النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه فر من بين يدي رسل قريش وقتل أحدهما ، وتجمع نفر من المسلمين الفارين حول أبي بصير ومنهم أبو جندل ، فأتوا سيف البحر ، وأخذوا يهددون قوافل قريش ، حتى ناشدت قريش النبي صلى الله عليه وسلم بأنه من أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ، فقدموا إلى المدينة ( فتح الباري ٧ : ٤٣٩ - ٤٥٨ - صحيح البخاري ١ / ٣٧٨ وما بعدها ) .

وخلال هذا العام السابع الهجري أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة ، وعندما وصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ كبدا .

ووقعت أحداث في المدينة منها غزوة خيبر ووادي القرى وذات الرقاع ومعركة مؤتة .

## عمرة القضاء

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين الذين شهدوا الحديبية بالاستعداد لقضاء العمرة ، فخرجوا جميعا ومعهم آخرون ، وكانوا ألفان سوى النساء والصبيان ( فتح الباري ٧ / ٧٠٠ ) .

أحرم النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحليفة ومعهم المسلمون ، واستعد للقتال إذا حدث غدر من قريش ، وعلى مقربة من مكة وضع السلاح تحت حراسة مائتي رجل ، ودخل بسلاح الراكب والسيوف في القرب ، وكان المسلمون حوله يلبون ، بينما خرج المشركون إلى جبل قعيقعان ليروا المسلمين .

طاف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون سبعا وسعى سبعا ونحر عند المروة وحلق ، وأرسل رجالا ليحلوا محل من كانوا يحرسون السلا .

أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا ، وفي اليوم الرابع خرج من مكة ونزل بسرف وأقام بها .  
كانت هذه العمرة هي عمرة القضاء أي قضاء عن عمرة الحديبية التي لم تتم أو أنها وقعت حسب المقاضاة أي المصالحة ، وهي تسمى باسم عمرة القضاء أو القضية أو القصاص أو الصلح .

## فتح مكة

كان من بنود اتفاق الصلح الذي عقد في الحديبية بين قريش والنبي صلى الله عليه وسلم ، انه مد أراد أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده ، دخل فيه ، ومن أحب عقد قريش وعهدها دخل فيه ، ولذلك دخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل بنو بكر في عهد قريش ، وكان بين القبيلتين عداوة قديمة ، واستغل بنو بكر الفرصة ، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة الثأر القديم ، فأغاروا عليهم ليلا في شعبان سنة ٨ هـ ، وهم على ماء يقال له الوثير ، ونالوا منهم ، وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح والرجال ، حتى دخلت خزاعة الحرم ، فقال بنو بكر لزعيمهم نوفل بن معاوية : إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال : لا إله اليوم يا بنى بكر ، أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تصيبوا ثأركم فيه؟ .

أسرع عمرو الخزاعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف بين يديه وهو في المسجد بين المسلمين وقال :

يا رب إني ناشد محمدا  
قد كنتم ولدا وكنا والدا  
فانصر ، هداك الله ، نصرا أبدا  
فيهم رسول الله ، قد تجردا  
أن قريشا أخلفوك الموعدا  
وجعلوا لي في كداء رصدا  
وهم أذل ، وأقل عددا  
وقتلونا ركعا سجدا

حلفنا وحلف أبيه الأتلا  
ثمة أسلمنا ولم ننزع يدا  
وإدع عباد الله يأتوا مددا  
أبيض مثل البدر ، يسمو محمدا  
ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
وزعموا أن لست أدعوا أحدا  
هم بيوتنا بالوتير هجدا

كان ما فعلته قريش نقضا للصلح الذي عقد في الحديبية سنة ٦ هـ ، ولم يكن هناك مبرر لغدرها ولكن إرادة الله كانت ليتحقق النصر لدينه .

وأدركت قريش غدرها ، فقررت إرسال أبو سفيان بن حرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليجدد العهد .

جاء أبو سفيان المدينة ، وتوجه إلى بيت ابنته أم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طوته عنه ، فقال : يا بنية ، أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجل مشرك نجس ، فقال : والله لقد أصابك بعدى شر .

توجه أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلمه ، فلم يرد عليه ، فذهب إلى عمر ثم أبي بكر ، ثم علي بن أبي طالب فلم يجبه أحد إلى ما طلبه ، وطلب من علي ماذا يفعل ؟ وقال له : يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي ، فاتصحنى ، قال علي : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ، فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيها الناس ، إني قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيه وفر .

### الاستعداد للفتح

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد أمر عائشة بأن تجهزه قبل أن يأتي إليه خبر نقض العهد بثلاثة أيام ، وبعدها توالى ورود الأخبار ومجيء عمرو ثم بديل الخزاعي ثم أبو سفيان ، وبعد رحيل أبو سفيان أمر النبي صلى الله عليه

وسلم المسلمين بالاستعداد للتوجه الى مكة ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار  
عن قريش حتى نبغتها في بلادها .

عندما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم التوجه للفتح ، عمل على الإخفاء  
والتعمية حتى يباغت قريش ، ولكن حاطب بن أبى بلتعة كتب كتابا لقريش  
يخبرهم ، وأعطى الكتاب لامرأة وضعت في قرون رأسها ، وأخبر الحق سبحانه  
وتعالى رسوله بالخبر ، فبعث عليا والمقداد وقال لهما : انطلقا حتى تأتيا روضة  
بشاخ ، فإن بها طعينة معها كتاب إلى قريش ، فتوجها إلى هناك ووجدا امرأة  
في هذا المكان ، فاستنزلاها ، وقال : معك كتاب ؟ فأنكرت ، ففتشوا رحلها ، ولم  
يجدا شيئا ، فقال لها علي : أحلف بالله ، ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ولا كذبنا ، والله لتخرجن الكتاب أولنجردينك ، فلما رأت الجدم منه ، حلت قرون  
رأسها ، ودفعت له الكتاب ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل رسول  
الله صلى الله عليه وسلم حاطبا : ما هذا يا حاطب ؟ فقال : لا نعجل علي يا  
رسول الله ، والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما ارتددت ولا بدلت ، ولكني كنت  
امرا ملصقا في قريش ، لست من أنفسهم ، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد ،  
وليس لي فيهم قرابة يحمونهم ، فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنقه  
، فإنه قد خان الله ورسوله ، وقد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال :  
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، فزفرت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم )  
صحيح البخاري ١ / ٤٢٢ .

### في الطريق الى مكة

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة في العاشر من  
رمضان سنة ٨ هـ ، متجها إلى مكة ، في عشرة آلاف من المسلمين .

وعندما وصل إلى الجحفة التقى بعمه العباس بن عبد المطلب ، والذي كان  
مهاجرا بأهله .

وعندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبواء لقيه ابن عمه أبو سفيان  
بن الحارث وابن عمته عبد الله بن أبي أمية ، فأعرض عنهما لما كان منهما من  
أذية ، فذهبا إلى علي بن أبي طالب وسألاه النصيحة ، فقال علي لأبي سفيان : أنت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف  
{ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ، وإن كنا لخاطنين يوسف / ٩١ } فإنه لا يرضى  
أن يكون أحد أحسن منه قولا ، ففعل ذلك أبو سفيان ، فقال له رسول الله صلى الله



عليه وسلم { لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - يوسف / ٩٢ } .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكديد - ماء ما بين عسفان وقديد - وأفطر هناك وأفطر المسلمون ، ثم واصل سيره حتى نزل بمر الظهران - وادى فاطمة - وكان الوقت ليلاً ، فأمر الجيش ، فأوقدوا النيران ، فأوقد عشرة آلاف .

وركب العباس بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، وأخذ يلتمس شخصاً يخبر قريش حتى تخرج وتطلب الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قريش في غفلة تامة ، حتى لقي أبا سفيان وبديل بن ورقاء ، وسمع العباس أبو سفيان يقول لبديل : ما رأيت كالي ليلة نيراننا قط ولا عسكرياً ، قال بديل : هذه والله خزاعة ، خمشتها الحرب ، فقال أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكريها .

ولقى العباس أبا سفيان ، فقال له : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، فقال أبو سفيان : فما الحيلة ؟ فقال العباس : والله لنن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة ، حتى أتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك ، فركب خلفي .

قال العباس : فجئت به ، فكلما مررت به على نار من نيران المسلمين ، قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنا عمر بن الخطاب ، فقال : من هذا ؟ وقام إلي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد وعهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة فسبقت ، فافتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذه أبو سفيان فدعني أضرب عنقه ، قال : قللت : يا رسول الله إني قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا ينجيه الليلة أحد دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه ، قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت مثل هذا ، قال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب ، لو أسلم ، وما بي إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلي رحلك ، فإذا أصبحت فاتنني به ، فذهبت ، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم ينن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ؟ لقد ظننت

أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شينا بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم ينن لك أن تعلم أنى رسول الله ، قال : بأبى أنت و أمى ، ما أحلمك وأكرمك ؟ أما هذه فإن فى النفس حتى الآن منها شينا ، فقال له العباس : ويحك أسلم ، وأشهد أن لا إله إلا الله أن محمدا رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك ، فأسلم .

قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شينا ، قال : نعم ، من دخل المسجد الحرام فهو آمن و ومن دخل بيته فهو آمن و ومن دخل بيت أبى سفيان فهو آمن ، وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادى حتى تمر به جنود المسلمين فيراها ، فمرت القبائل على راياتها ، وكلما مرت به قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ فيذكر له اسم القبيلة ، فيقول : مالى وهذه ، حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار ، قال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، ثم قال : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما ، قال العباس : يا أبا سفيان ، إنها النبوة ، قال : فنعم إذن .

وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد ، فلما مر بأبى سفيان قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا ، فلما علم رسول الله بقولة سعد قال : بل اليوم يوم المرحمة ، اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا ، ثم نزع اللواء من سعد ودفعه إلى ابنه قيس .

أسرع أبو سفيان ودخل مكة قبل دخول الجيش وصرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما أن أقبل لكم به ، فمن دخل دارى فهو آمن ، فقالت هند بنت عتبة زوجته : اقتلوا الحميت الدسم الأخمش الساقين ، قبح من طليعة قوم ، قال أبو سفيان : ويلكم ، ل اتغرنكم هذه من أنفسكم ، فاته قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغنى عنك دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فنفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

## الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل مكة

انتهى مسير النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى ، فقام بتوزيع الجيش الإسلامي وجعل خالد بن الوليد على الميمنة وفيها قبائل أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وبعض قبائل أخرى ، وأمره أن يدخل مكة من أسفلها ، وإذا اعترضه أحد من قريش يأتي عليه ، وأمره أن يوافيه على الصفا .

وجعل الزبير بن العوام على الميسرة ، وأمره أن يدخل مكة من أعلاها من كداء ( كدى ) وأن يغرز رايته بالحجون ، ولا يبرح حتى يأتيه .

وجعل أبا عبيدة على الرجالة والحسر ممن ليس ليهم سلاح ، فأمره أن يأخذ بطن الوادي حتى ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقى خالد بن الوليد بعض سفهاء قريش في الخدمة ، فناوشهم وقتل منهم اثني عشر رجلا ، وفر الباقيون ، وواصل خالد المسير حتى وافى النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ، ولم يقتل من جيشه سوى رجلين كانا قد شذا عن الجيش ، وسلكا طريقا غير طريق فقتلا .

ووصل الزبير بن العوام إلى الحجون ، ونصب راية الرسول صلى الله عليه وسلم هناك وانتظر حتى جاءه النبي صلى الله عليه وسلم .

## الرسول صلى الله عليه وسلم في الكعبة المشرفة

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم وتبعه المسلمون المسجد الحرام ، فأقبل على الحجر الأسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت الحرام ، وأخذ في طعن الأصنام الموضوعة حول الكعبة بقوسه ويقول { جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا - الإسراء ٨١ } ويقول أيضا { جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد - سبأ ٤٩ } فكانت تهوى على وجوها .

طاف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم راكبا على راحلته ، ودون إحرام ، وبعد الطواف طلب مفتاح الكعبة ، ودخلها ، ورأى الصور في جوفها فأمر بمحوها ، فمحييت .

وبعد أن صلى دار في البيت وكبر في نواحيه ووجد الله ، ثم وقف على بابها ، وقد امتلأت ساحة المسجد بقريش ينتظرون ماذا يصنع بهم ؟ ، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد ، ففيه الدية مغلفة ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها .

يا معشر قريش ، إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية { يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله لأتقاكم ، إن الله عليم خبير - الحجرات ١٣ } .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم وقال : فأتى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : { لا تثريب عليكم اليوم } اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ودفع النبي صلى الله عليه وسلم بمفتاح الكعبة لثمان بن طلحة ، ورفض ما طلبه منه العباس أو علي بن أبي طالب بأن يكون مفتاح الكعبة معهم فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء و يقال أنه قال له حين دفعه إليه بالمفتاح : خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد دخل دار أم هانئ بنت أبي طالب وصلى ثمانى ركعات صلاة شكر لله ، وهى صلاة الفتح ، ثم حانت صلاة الظهر فأذن بلال فوق الكعبة ، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وصلى المسلمون .

وفى اليوم الثانى خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعد حمد الله : أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة و فلا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ، أو يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : إن الله إنن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما حلت لى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم ، كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب .

وفى رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم : لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط ساقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاه ، فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر ، فإنه لقينهم وبيوتهم ، فقال : إلا الإذخر .

وكانت خزاعة قد قتلن رجلا بقتيل لها فى الجاهلية ، فقال لهم : يا معشر خزاعة ، أرفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينه ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ، إن شاعوا قدم قاتله ، وإن شاعوا فحقته .

وكان النبی صلى الله عليه وسلم قد أهدر دم جماعة من كفار قريش وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم : عبد العزى بن خطل ، وعبد الله بن أبى السرح وعكرمة بن أبى جهل ، والحارث بن نوفيل ومقيس بن صبابه وهبار بن الأسود وقينتان كانت لابن خطل كانتا تغنيان وتهجوان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسارة مولاة بنى عبد المطلب ، وهى التى وجد معها كتاب حاطب .

فأما عبد الله بن أبى السرح فكان قد أسلم وهاجر ثم ارتد ورجع إلى مكة ، ولما علم بإهدار النبی صلى الله عليه وسلم لدمه فقد جاء إلى عثمان والذى بدوره شفع له عند النبی صلى الله عليه وسلم ، فحقن دمه .

أما عكرمة بن أبى جهل فقد فر إلى اليمن ، ثم استأمنت له امرأته ، فأمناه النبی صلى الله عليه وسلم ، فلحققت به ، ورجع معها وأسلم وحسن إسلامه .

أما عبد العزى بن خطل فقد تعلق بأستار الكعبة ، فأخبر رجل النبی صلى الله عليه وسلم فقال له : أقتله ، فقتله .

أما مقيس بن صبابه فقتله نمية بن عبد الله ، وكان مقيس قد أسلم وقتل رجلا من الأنصار ، ثم ارتد وعاد إلى مكة .

وأما الحارث بن نوفيل فقد قتله على بن أبى طالب لما كان يقوم به من أذية منكرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما هبار بن الأسود فكان قد تعرض لزینب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت ، ونخس دأبتها حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ، وفر هبار ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

أما القينتان فقتلت إحداهما ، واستؤمن الأخرى ، فأسلمت ، كما استؤمن نسارة وأسلمت .

وكان كعب بن زهير الشاعر المعروف يقول شعرا في ذم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأهדר دمه ، ولكنه جاء ذات مرة متنكرا ، وجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلم وقال قصيدته المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

باتت سعاد قلبي اليوم متبول      متى ما إثرها لم يجز مكبــــــــــــــــول  
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا      إلا أغن غصيص الطرف مكحول

حتى وصل إلى قوله :

إن رسول الله لنور يستضاء به      مهتد من سيوف الله مسلول

فخلع النبي صلى الله عليه وسلم عليه بريقته .

### البيعة

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا لأخذ البيعة من الناس ، وجاءه الرجال ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا ، وصافحوه ، وجاءت النساء يبائعن بالمشافهة ، فجاءت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان ، وكانت متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها ، لما صنعت بحمزة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبايكن على ألا تشركن بالله شيئا ، فبايع عمر النساء ، وكان قاعد أسفل النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ النساء عن النبي صلى الله عليه وسلم ويبايعهن بأمره ، وبايعت النساء على أن لا يشركن بالله شيئا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا تسرقن : فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح ، فإن أصبت من ماله هنات؟ فقال أبو سفيان : وما أصبت فهو لك حلال ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها ، فقال وإنك لهند؟ قالت : نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك ، فقال : ولا يزنين ، فقالت هند : أو تزني الحرة ؟ فقال : ولا يقتلن أولادهن ، فقالت : ربينا هم صغارا وقتلتموهم كبارا ، فأنتم وهم أعلم ، فضحك عمر وتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ولا يأتين ببهتان ، فقالت : والله إن البهتان لأمر قبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ، فقال : ولا يعصينك في معروف ، فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك ، ثم عادت إلى بيتها أخذ تكسر صنمها وتقول : كنا منك في غرور .

وأقام النبي صلى الله عليه وسلم في مكة تسعة عشر يوما ، خلالها أخذ يعلم  
الناس ويهديهم ويث سرائاه ، وكسر الأصنام التي حول مكة ودعا الناس إلى  
تحطيم ما لديهم من أصنام في بيوتهم وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا  
يدع في بيته صنما إلا كسره ففعلوا جميعا .

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لتحطيم العزى في نخلة فقام  
بذلك ، وبعث عمرو بن العاص إلى سواح وهو صنم لهذيل برهاط ، فهدمه ،  
وتوجه سعد بن زيد إلى مناة فقتلها وحطم الصنم .

### بعد فتح مكة

لم تتقبل بعض القبائل القوية ما حدث من فتح مظفر للمسلمين ، ومنها  
بطون من قبائل هوازن وثقيف ونصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني  
هلال ، واجتمعت هذه القبائل تحت لواء مالك بن عوف النصرى ، وتوجهت لحرب  
المسلمين .

ونزلت هذه القبائل بواد بجوار ذى المجاز على بعد عشرة أميال من مكة ،  
وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بخبر قدوم هذه القبائل لمحاربة المسلمين ، فأعد  
إثنى عشر ألفا من المسلمين لقتالهم ، ولم يكن قد مر على فتح مكة سوى تسعة  
عشر يوما ، ووصل الجيش الإسلامى إلى حنين ، وكان بعض المسلمين قد  
غرم كثرة الجيش ، وبمجرد أن دخلوا وادى حنين كان قد سبقهم مالك بن  
عوف ، وأعد كميناً ، وأمطر المسلمين بالنبال ، وهزم المسلمون ، وثبت النبي  
صلى الله عليه وسلم في المعركة ، ونادى العباس على الصحابة بصوت عال ،  
فعادوا وتكاتفوا وتقاتلوا ، وحمل الوطيس وقبض الرسول صلى الله عليه وسلم  
قبضة من تراب الأرض ، فرمى بها في وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه ، فما  
خلق الله إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة ، فلم يزل أحدهم كليلاً ، وأمرهم  
مدبراً .

وانهزم المشركون وولوا الأدبار ، وفى هذه الموقعة قال الحق سبحانه  
وتعالى { ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم  
الأرض بما رحبت ، ثم وليت مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى

المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين -  
التوبة ٢٥ - ٢٦ .

وطارد المسلمون الفارين إلى نخلة وأوطاس والطائف ، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم جماعة لمطاراة الفارين في أوطاس ونخلة ، وتوجه بنفسه إلى الطائف ، وحاصر حصنها عدة أيام اختلف المؤرخون في عدتها ما بين أربعين يوماً وخمسة عشر يوماً ، وبعدها أمر المسلمين بفك الحصار والعودة ، وبعد عدة أيام أقبل وفد هوازن من الطائف وأسلموا ، ونالوا نصيباً من الغنائم التي أصابها المسلمون من موقعة حنين .

وبعد شهرين وبضعة أيام من قدومه إلى مكة ، قام النبي صلى الله عليه وسلم بأداء العمرة ، وقرر العودة إلى المدينة .

وهكذا تحقق نصر الله ، وانتصر الإسلام ، ودخل العرب الإسلام أفواجا وجماعات ، وتحقق وعد الله لنبيه والمسلمين ، ودخلوا البيت الحرام آمنين مطمئنين .

## حجة الوداع

في السنة العاشرة للهجرة النبوية الشريفة ، أعد الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه لأداء الحج ، وركب ناقته القصواء وتوجه إلى مكة ، وأدى العمرة ، وأدى مناسك الحج وفي يوم عرفة ألقى خطبة جامعة قال فيها : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فبني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا . . . إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دماننا دم ابن ربيعة بن الحارث - وكان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل - وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء ، فبتكن أخذنموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب . أيها الناس ، إنه لا نبي بعدي ، ولا أمة بعدكم ، ألا فاعبدوا ربكم ، وصلوا



خمسيتكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، طيبة بها أنفسكم ، وتحجون بيت ربكم . وأطيعوا أولات أمركم ، تدخلوا جنة ربكم . وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت ، فقال : اللهم أشهد ثلاث مرات .

وبعد أن فرغ من خطبته نزل عليه قوله تعالى { اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً - المائدة ٣ } .

وبكى عمر عندما سمع هذه الآية ، فقليل له : ما يبكيك ؟ قال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان ( رحمة للعالمين ١ / ٢٦٥ ) .

وفى يوم النحر العاشر من ذي الحجة خطب النبي صلى الله عليه وسلم في الناس وقت الضحى ، وهو على بغلة شهباء ، وعلى يعبر عنه ، والناس بين قائم وقاعد ، وقال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

وقال : أى شهر هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظن المسلمون أنه سيمنيه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قالوا : بلى ، قال : أى بلد هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظنوا أنه سيمنيه بغير اسمه ، قال : أليست البلدة ؟ قالوا : بلى ، قال : فأى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أليس يوم النحر ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا .

وقال : وستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم أشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع ( صحيح البخاري ١ / ٢٣٤ ) .

وعاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، حتى لقي ربه فى شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة .

مات النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أتم رسالته ، وانتشر الإسلام في  
ربوع الجزيرة العربية ، وبدأ يطرق أبواب بلاد فارس والروم .

وهكذا انتهى الطور المكي من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو  
موضوع كتابي هذا وإن شاء الله أتمنى أن أتم الطور المدني في كتاب آخر بإذن الله  
تعالى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



